الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة



إمبراطورية غانة الإسلامية

تأليف

دكتور إبراهيم علي طرخان

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة
بالخرطوم

الناشر

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

صدقة جارية على روح

الدكتور عزالدين اسامة محمود

رحمه الله



إمبراطورية غانة الإسلامية

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة



إمبراطورية غانة الإسلامية

تأليف
دكتور ابراهيم علي طرخان
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة
بالخرطوم

الناشر
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

صدقة جارية على روح

الدكتور عزالدين اسامة محمود

رحمه الله

المحتوى

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

الإمبراطوريات التى قامت بغربى أفريقيا — مصادر تاريخها : أهمية المصادر العربية — معارف أوروبا عن بلاد السودان ومصادرها — الكشوف الأثرية — التقاء وجهة النظر العربية مع وجهة النظر الأفريقية القومية — أهمية امبراطورية غانة فى التاريخ القومى الأفريقى .

***

قام بغربى أفريقيا فى العصور الوسطى ، عدد من الإمبراطوريات القومية ، أقامها الوطنيون الأفريقيون ، وكان عمادها — زمن ازدهارها وقوتها — الدين الإسلامى عقيدة ، واللغة العربية أداتها فى الإدارة والثقافة والتجارة .

قامت هذه الإمبراطوريات فيما عرفه الكتاب العرب « ببلاد السودان » وهى المنطقة الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى .

وتنطبق أوصاف العرب لبلاد السودان على بلاد غربى أفريقيا بصفة خاصة ، وهى الممتدة جغرافيا من المحيط الأطلسى غرباً إلى بحيرة تشاد شرقاً ، والتى اصطلح كتاب أوروبا فى العصور الوسطى على نعتها باسم بلاد نيجرتيا Nigritia نسبة إلى نهر النيجر .

أما المساحات التى شغلتها الإمبراطوريات ، فهى جميع الأقاليم الواقعة شمالى

الغابات الاستوائية وجنوبى الصحراء الكبرى أى فى منطقة السفانا ، ومن أجل هذا توصف أحيانا بامبراطوريات السافانا . ولهذه الإمبراطريات أصول وثنية ، غير أنها بلغت الذروة والقوة فى عهدها الإسلامى ؛ وقامت علاقات قوية ومتنوعة بين هذه الإمبراطوريات وبين البلاد الإسلامية ، وهى علاقات قديمة ، لكنها ازدادت بانتشار الإسلام فى غربى أفريقيا ، بحيث سادت التقاليد والعادات الشرقية الإسلامية ، كما استقر عدد كبير من العرب والبربر المسلمين بتلك الجهات واختلطوا بالوطنيين .

وكانت غانه أقدم الإمبراطوريات التى قامت بغربى أفريقيا ، ثم تلتها مالى ومن بعدها صنغى ، كما وجدت امبراطورية التكاررة فى العصور الوسطى ، وبعثت مرة أخرى فى العصور الحديثة (القرن ١٩) ، وكان لها دور كبير فى كفاح الاستعمار الفرنسى ، كما بعثت مالى أيضاً فى نفس القرن ممثلة فى مملكة ساموري التورى ، جد أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينية الحالى (١٩٧٠) . كذلك قامت امبراطورية الهَوْسا وتمثلت فى عدد من دول الهوسا مثل كانو وكاتسنا وكبى وغيرها . وهناك إمبراطورية بورنو التى قامت أولا فى كانم ثم فى بورنو ، وهذه ورثتها امبراطورية الفولانيين أو الفلاتا فى العصور الحديثة ، وزالت على يد الاستعمار الأوروبى ؛ وكان للفولانيين إمبراطورية فى العصور الوسطى نواتها إقليم ماسنه عند النيجر الأوسط ، وهكذا .

* * *

وترجع المعلومات الأساسية عن تاريخ إمبراطورية غانه وغيرها من الإمبراطوريات التى قامت فى السودان الغربى والأوسط ، إلى ما كتبه العرب

صدقة جارية على روح

الدكتور عزالدين اسامة محمود

رحمه الله

المسلمون من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين ، ومن هؤلاء من زار بلاد السودان مثل ابن حوقل فى القرن العاشر الميلادى ، وابن بطوطه فى القرن الرابع عشر ، ومنهم من سمع عنها وبحث واستقصى ودوّن ، مثل البكرى فى القرن الحادى عشر وابن خلدون فى القرن الرابع عشر ؛ وربما كان ما كتبه البكرى عن غانه بصفة خاصة ، من أدق وأحسن ما كتب عنها وعن أحوالها ، مع أنه لم يزر بلاد السودان ، بل دوّن كتابه : « المسالك والممالك » فى قرطبة ، حيث كانت وثائق وسجلات حكام الأندلس من بنى أمية ، تحت تصرفه ، وهذا فضلا عن الروايات والأخبار المتواترة المشهورة ، وهى التى أذاعها التجار والرحالة والمغامرون والحجاج .

ومن أمهات المصادر العربية عن تاريخ بلاد السودان : ما كتبه حسن بن محمد الوزان المتوفى حوالى عام ١٥٤٠ م ، وهو الذى اشتهر باسم ليو الأفريقى ، وما كتبه القاضى القعْ محمود كَعْتِ فى القرن السادس عشر ، والسعدى وابن صود فى القرن السابع عشر ، والثلاثة الأخيرون من أبناء بلاد السودان ، كتبوا تواريخهم باللغة العربية ، لغة الثقافة والدين والحكومة والتجارة إبان تلك الحقبة القومية من تاريخ هذه البلاد . وهناك ما كتبه أحمد بابا التمبكتى ، وكان مرجعاً للسعدى وغيره ممن نقل عنه من الكتاب المسلمين وغير المسلمين .

ولقد دلت المصادر العربية الإسلامية ، على أن البلاد الإسلامية ولا سيما فى شمالى أفريقيا وفى أسبانيا الإسلامية ، كانت السوق الرائجة لسلع بلاد السودان ؛ ومعنى هذا ارتباط بلاد السودان واتصالها بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة . وكان هذا الارتباط هو صاحب الأثر الأكبر فى تشكيل وتوجيه

تاريخ بلاد السودان ، كما أن عناصر هذا الارتباط بعينه ، هى التى أمدت كتاب المسلمين بالمعارف الأصيلة عن تلك البلاد ، وجعلتهم المصدر الأول للحديث والكتابة فى تاريخ بلاد السودان .

لذلك لم يكن جويلى Gouilly مخطئاً حين قال إن العصر التاريخى لأفريقيا السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام ؛ وأن بالإسلام ولغته وحضارته ، تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأواً كبيراً فى المدنية ، كما لم يغال سبيتز Spitz حين قرر أن حضارة السود إبان العصور الوسطى لم تكن دون حضارة البيض ، بل لم يبلغ دفيدسون Davidson حد الشطط يوم انتهى إلى الحقيقة القائلة بأن حضارة غانة ، إحدى الإمبراطوريات القومية فى غربى أفريقيا ، كانت تفوق حضارة الأنجلوسكسون، زمن وليام الفاتح فى القرن الحادى عشر .

لقد جهلت أوروبا فى العصور الوسطى قلب أفريقيا جهلاً تاماً ، بسبب وعورة الصحراء ، وتحكم المسلمين فى مسالكها ودروبها واحتكارهم لعمليات الاتصال ببلاد السودان ، لأسباب دينية وتجارية ، مع العلم بأن بلاد السودان لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجى فى أى فترة من فترات التاريخ ، ولم تحل الصحراء دون هذا الاتصال . غير أن معارف أوروبا عن أفريقيا ومحاولة اتصالها بقلب القارة ، لم تبدأ بصورة جدية وملحة إلا قرب نهاية العصور الوسطى .

بدأت أوروبا بجمع معارفها عن بلاد السودان ، عن التراث العربى الإسلامى . وكان هذا التراث هو العمود الفقرى أو الينبوع الرئيسى لمدرسة

الخرائط أو معهد الخرائط الذى قام بجزيرة ميورقة فى العصور الوسطى[1] فقد اعتمد علماء تلك المدرسة على — المعلومات والأوصاف التى دونها كتاب العرب عن بلاد السودان ، أمثال البيرونى والبكرى وابن سعيد والإدريسى وغيرهم ، وذلك فيما أصدروه من خرائط عن العالم .

وهناك ما جمعه الأوربيون من الروايات والأساطير الحلية المشهورة ، خلال رحلاتهم وكشوفهم ، ثم طوال العهد الاستعمارى ؛ على أن جزءاً كبيراً من الروايات والأساطير والمعارف التى جمعوها ودونوها ، منقول أيضاً عما عثروا عليه من كتب عربية سواء كتبها الأجانب عن هذه البلاد أم كتبها الوطنيون ، فإن هؤلاء الأخيرين وضعوا مؤلفاتهم باللغة العربية .

فمثلا من مصنفات موريس دلافوس M. Delafosse الفرنسى ، كتاب صدر فى باريس عام ١٩١٣م ، عنوانه Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental ليس سوى ترجمة لمخطوطة عربية تتحدث عن تاريخ مملكة وجادو وتاريخ الصراع بين إمبراطورية الصوصو وإمبراطورية مالى . كما أن سير رتشموند بالمر Sir R. Palmer الإنجليزى ، ترجم عشرات المخطوطات العربية فى كتابيه الكبيرين ، أولها تحت عنوان : Sudanese Memoirs ، وصدر فى لاجوس عام ١٩٢٨ م ، فى ثلاثة أجزاء ، والآخر

---

(١) قامت هذه المدرسة فى جزيرة ميورقه ، بعد أن أطاح المسيحيون فى مطلع القرن الثالث عشر بالسيادة الإسلامية التى أقامها المرابطون فى تلك الجزيرة وغيرها . والفضل فى إقامتها يرجع إلى ابراهام كرسك A. Cresques الذى كان يعمل منجما أو فلكيا فى بلاط أراعونه ، وبرز فى هذه المدرسة عدد من العلماء من آل كرسك وغيرهم مثل يافودا كرسك J. Cresques وفيلادست Villadestes ، جبرائيل فالسكا G. de Vallsecha ، سوليرى Soleri ، روسيلى Roselli واوليفيا Oliva وغيرهم .

وعنوانه : The Bornu Sahara and Sudan ؛ صدر فى لندن عام ١٩٣٦ فى جزء واحد .

أما الكشوف الأثرية الحديثه ، فقد ألقت الكثير من الضوء على التاريخ القومى لتلك الإمبراطوريات ؛ ومما يؤكد أصالة المصادر العربية ودقة معلوماتها ، أن الآثار التى تم الكشف عنها فى غانه مثلا ، جاءت مطابقة لأوصاف المؤرخين العرب مما أدهش المكتشفين أنفسهم .

* * *

ونحن نحتاج إلى إعادة كتابة التاريخ القومى الأفريقى ، لا أقول من وجهة النظر العربية فحسب أو من وجهة نظر الأفريقيين الوطنيين عامة ، ولكن كذلك من أجل دحض الفرية التى أذاعها المستعمرون دحضاً علمياً ، ودارت هذه الفرية فى جملتها وتفصيلها ، حول نعمة الاستعمار للشعوب الإفريقية ، وأن غربى أفريقيا لم يكن له تاريخ إلا عندما اتصل به الأوروبيون ، ولم يكن هذا إلا للتمكين لنفسه وضرب جذوره .

ومن أمثلة البحوث العلمية التى قام بها الأفريقيون ما كتبه بايلدن Blyden (من ليبيريا) عن الإسلام والمسيحية فى أفريقيا السوداء ، وقارن مقارنة علمية دقيقة بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحية ، وكتابه عبارة عن مقالات وبحوث نشرها فى فترات مختلفة ثم جمعها فى كتاب تحت عنوان :
Christianity, Islam and the Negro Race .

ومن الكتب الحديثة كتابان أصدرهما المؤرخ جبريل نيان الغينى

Djibril Niane تحت عنوان : Grands Empires Africains du Moyen-Age أولهما عن غانة Ghana وصدر فى كوناكرى عام ١٩٦٠ ؛ والثانى عن إمبراطورية مالى Mali وصدر فى كوناكرى فى العام التالى .

وكذلك أخرج الكاتب الأديب الشيخ آنتا ديوب Cheikh Anta Diop كتاباً عنوانه : « أفريقيا السوداء قبل عهد الاستعمار L'Afrique Noire Pré-Coloniale وطبع هذا الكتاب فى باريس عام ١٩٥٢ م . مثل هذه البحوث أساسية فى بعث الأمجاد القومية الأفريقية ، وليست هذه الأمجاد سوى التاريخ المحقق للإمبراطوريات الإسلامية التى قامت بأفريقيا السوداء فى العصور الوسطى ، حيث سادت اللغة العربية والحضارة العربية ، ومن هنا تلتقى وجهة النظار العربية الإسلامية مع وجهة النظر الأفريقية القومية .

***

وتاريخ إمبراطورية غانه هو أولى حلقات التاريخ القومى لغربى أفريقيا ، فهى أول امبراطورية قامت بالسودان الغربى ، ولعلها أول تجربة أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطنى الناجح بتلك البلاد ؛ وقد دل ازدهارها وبقاؤها إلى القرن الثالث عشر الميلادى ، على قدرة الأفريقيين على تدبير شئونهم بأنفسهم ، وهذا ما حمل القلة من الكتاب الغربيين المنصفين على أن تقرر بأن حضارة هذه البلاد فى العصور الوسطى لم تكن دون حضارة البيض ، بل فاقت حضارة بعض البلاد الأوروبية .

وفضلا عن أهمية قيام إمبراطورية غانة فى السودان الغربى بالنسبة للتاريخ

القومى الأفريقى ، فإن سقوطها لم يقل أهمية فى تاريخ غربى أفريقية ، من حيث ازدياد انتشار الإسلام والحضارة العربية وقيام نظم أقوى وأعظم بتلك الأرجاء؛ وقد يبدو هذا غريباً ، ولكن زوال غانه على يد قبائل وثنية فى ذلك الوقت بزعامة إمبراطور وثنى ، هو إمبراطور الصوصو ، أدى إلى ازدياد الحماس عند المسلمين فى غربى أفريقية وإلى إضعاف القيم الوثنية ، حين فتحت صفحة جديدة فى تاريخ هذه البلاد ، ونعنى بها صحيفة إمبراطورية مالى التى كانت فى واقعها التاريخى امتداداً لإمبراطورية غانه ؛ فإن السوننك مؤسسى غانه الذين زال سلطانهم السياسى ، ليسوا سوى أحد فروع الماندنجو مؤسسى مالى .

* * *

أمّا بعد .. فإنى أرجو أن أكون بهذا البحث قد سددت ثغرة فى التاريخ القومى والحضارة العربية الإسلامية بغربى أفريقيا ، وهو التاريخ ، أو هى الحضارة التى حاول الاستعمار الأوروبى أن يطمس معالمها بتلك البلاد .

والله ولى التوفيق

١٩٧٠ إبراهيم علي طرخان

الفصـــل الأول

ظهور إمبراطورية غانة

أقدم إمبراطوريات غربى أفريقيا -- اسمها وتفسيره — عناصر سكانها : السوننك أو السراكول واختلاف تسمياتهم -- أقسامهم الرئيسية والفرعية — حكومة البيض الأولى — قوة ملوكها -- حكومة السوننك منذ نهاية القرن الثامن الميلادى إلى مطلع القرن الثالث عشر — ملوكها وقوتهم — ذروة مجد إمبراطورية غانة فى القرن الحادى عشر — العاصمة وازدهارها وأقسامها — ما أسفرت عنه عمليات الحفر .

* * *

تعتبر إمبراطورية غانة أقدم الإمبراطوريات الأفريقية التى قامت بالسودان الغربى ، وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة مجدها وعظمتها من حوالى القرن التاسع الميلادى إلى منتصف القرن الحادى عشر[١] .

ونظراً لندرة الوثائق الخاصة بغانة ، فإن المعلومات المتداولة عن فجر تاريخها ليست من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليها ، غير أن هذه المعلومات تبدأ فى

(١) Church, R.G., West Africa, A Study of the Environment and Man's Use of it, p. 237 ; L. Lugard, A Tropical Dependency, p. 95 ; Hogben, S.J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 28 ; Cooley, W.D., The Negroland of the Arabs, pp. 33-47 ; Wiedner, D.L., A History of Africa, South of the Sahara, p. 28 ; Talbot, P.A., The Peoples of Southern Nigeria, p. 62 ; Bernard, A., Afrique Septentrionale et Occidentale (Géogr. Univ.), t. XI, p. 428 ; Baumann, H., and Westermann, D., Les Peuples et les civilisations de l'Afrique, p. 392.

الوضوح والدقة منذ القرن الثامن الميلادى فصاعدا . يقول محمود كعت ، عن ملوك غانة الأوائل :

« وقد بعد زمانهم ومكانهم علينا ، ولا يتأتى لمؤرخ فى هذا اليوم ، أن يأتى بصحة شيء من أمورهم يقطع بها ، ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه[١] » .

اشتهرت إمبراطورية غانة بهذا الاسم بالنسبة إلى عاصمتها مدينة غانة Ghana أو غاناتا Ghanata [٢] ، ويقول جولى Gouilly عن مدينة ولاتا Oualata — وهى الواردة فى رحلة ابن بطوطة باسم « إيولاتن — إنها ليست سوى تحريف لكلمة « غاناتا » ، كما ينطقها السود ،[٣] وذلك نقلا عما ذكره مارمول L. Marmol فى القرن السابع عشر[٤] . والمعروف أن مدينة ولاتا ، أنشأها المسلمون الجافلون من أهـــل غانة ، على أثر هجوم الصوصو عليهم (١٢٠٣)[٥] .

والراجح أن كلمة غانة ، كانت أصلاً ، لقباً ، يلقب بملوك هذه الإمبراطورية ، ثم اتسع مدلول اللفظ حتى صار علماً على العاصمة وعلى الإمبراطورية[٦] والملاحظ

---

(١) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

(٢) استعمل ترمنجهام كلمة جانا Gana للدلالة على الامبراطورية ، وكلمة غانه Ghana الإشارة إلى جمهورية غانه الحديثة (راجع كتابه Islam in West Africa, p. 3.

(٣) فى كتابه : (L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 50, No. 1)

انظر كذلك :

Dudly Stamp, Africa, A Study in Tropical Development, p. 271 ; Okafor, (In the New West Africa), p. 27.

(٤) وعبارة مارمول : Gualata quo Ortos Claman Ganata

انظر كتابة : L'Afrique, (Paris, 1667).

(٥) انظر ما يلى : Bovill, E.W., The Golden Trade of the Moors, p. 85.

(٦) Fage, J.D.. Introduction to thhe History of West Africa, p. 20.

أن هذه التسمية ليست لها أصول عربية[1]. يقول البكرى : « وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار[2] » . ويقول ياقوت : « غانة كلمة أعجمية لاأعرف لها مشاركا من العربية ، وهى مدينة كبيرة فى جنوبى بلاد المغرب ، متصلة ببلاد السودان[3] » وعن القلقشندى : أن بلاد غانة تقع « غربى صوصو ، وتجاور البحر المحيط الغربى ، وقاعدته — أى قاعدة هذا الإقليم — مدينة غانة ، وهى محل سلطان بلاد غانة[4] » وعند المقريزى : « ومدينة غانة محل سلطان بلاد غانه[5] » .

وللمؤرخ الغينى جبريل نيان Dj. Nian ، تفسير ، يلتقى مع الدلالات السابقة لعاصمة « غانة » ، قال جبريل فى كتابه عن غانه ، تعنى كلمة غانة ، بلغة السوننك ، « القيادة العسكرية » ، ثم صارت تعنى العاصمة ، مركز القيادة ، ثم اتسع المدلول حتى صار يطلق على الإمبراطورية[6] .

* * *

أمّا عن أصول سكان امبراطورية غانة التاريخية ، فهناك أساطير مختلفة حول هذه الأصول ، من ذلك ، ما وضح فى بعض وثائق قبائل الهوسا ، أن أهل غانة القدماء ، كانوا يسمون أنفسهم التورود أو التوروث Taurud or Towrooth وأنهم جاءوا أصلا من وادى دجلة والفرات ، أى أن لهم أصولا

---

(١) De La Roncière, Ch., La découverte de l'Afrique au Moyen-Age, I, p. 103.

(٢) المغرب ، ص ١٧٤ ، أنظر كذلك : الشنتيطى : الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط ص ٤٣٧ — ٤٣٨–٤٤٤ ..

(٣) معجم البلدان جـ ٣ ص ٧٧٠ .

(٤) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٤ .

(٥) الإلمام ص ٢٢ ، أنظر كذلك : ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٦٨، ٨٧ .

(٦) نعيم قداح : أفريقية الغربية فى ظل الإسلام ص ٢٨ .

أشورية وبابلية قديمة ، ومعنى هذا انتماؤهم إلى العنصر الذى يرجع أصل موطنه إلى منطقة جبال طوروس ، ووصل ذروة مجده فى التاريخ فى وادى دجلة والفرات(١).

والنسبة إلى الأصول الشرقية أمر مألوف عند كثير من شعوب السودان الأوسط والغربى ، وهى الشعوب التى اشتهرت فى التاريخ وكونت لها إمبراطوريات واسعة : مثل مالى : وارثة غانة ، وصنغى وارثة مالى ، وكذلك عند أباطرة برنو وغيرهم(٢) .

والمحقق أن أهم القبائل التى تكون أغلب سكان امبراطورية غانة فى العصور الوسطى ، هى قبائل السوننك Soninke ، وهى من فروع « الماند » الأساسية ، أى من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة الماند(٣) وتنفرد مجموعة السوننك عن بقية فروع الماند الأخرى ، بصفات جثمانية خاصة ، وتقاليد اجتماعية معينة .

كان السوننك يقيمون فى الصحراء ، ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية ، فيما اشتهر باسم « الساحل » وامتزجوا بالبربر والفولانيين ، وهم زراع مرتبطون بالأرض ، غير أن هذا لم يحل دون عملهم فى التجارة . ولعل اختلاط السوننك بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر ، هو الذى غير بعض الشىء فى ألوانهم ، حتى أن الجلف(٤) Wolof يطلقون على السوننك المقيمين فى حوض السنغال اسم : سيركول أو سراكول Sere-Kule أو Sera Koulé أو

(١) L. Lugard, loc. cit., p. 54 ; Hogben, loc. cit., p. 28.

(٢) هذه الإمبراطوريات للمؤلف فى المطبعة ، انظر ما يلى

(٣) إمبراطورية مالى للمؤلف وراجع :

Cc Culloch, M., The Peoples of Sierra Leone Proteitorate (Ethnography Survey of Africa, edited by D. Forde), pp. 1-4 ; Holis, The Mandi their Language and Folklore, pp. 1-5.

(٤) الصيغة العربية عن السعدى وصاحب الفتاش .

Sarakole ، وتعنى هذه التسمية عند الجاف : الرجال الحمر أو الناس الحمر Red Men ، مما يدل على أنهم لم يكونوا صريحين فى الصفات الزنجية النقية .

تضم مجموعة السوننك فروعاً مختلفة ، اشتهرت بأسماء متنوعة ، تبعاً للأماكن التى قامت بها ، أو تبعاً لأسماء العشائر التى برزت من بينها ، أو بحسب تسمية جيرانهم لهم .

فقبائل البامبارا ، وهى فرع من الماندنجو ، تطلق على السوننك المقيمين فى منطقة منحنى النيجر ، اسم ماركا Marka أو ماركنك Mark-nke ، ويعرف السوننك المقيمون فى ديا Dya ، غربى ماسنه على ، النيجر باسم دياكانك Dyakanke نسبة إلى محل إقامتهم ، ويبدو أن منطقة ديا كانت مركز تجمع للسوننك ، ومنه تفرقوا فى شتى الجهات بالسودان الغربى ، بل إن هذه التسمية « دياكانك » أطلقت على المستعمرات التى استقروا فيها فى أعالى نهر غمبيا وفى فوتا جالون .

كذلك يعرف السوننك عند المغاربة باسم « أسوانك » Aswanik or Asouanek واشتهرت هذه التسمية على فريق من السوننك يقيم جنوبى نهر النيجر ، ونسب المقيمون منهم فى مدينة طوبى Tuba ، إليها ، وهذه تسمية عربية إسلامية ، انتقلت إلى غربى أفريقية ، ولذلك فهم يعرفون باسم الطوباكى Tubaki ؛ وفى مدينة جِنّى اشتهر السوننك باسم « نونو » Nono نسبة إلى اسم أول عشيرة سوننكية هاجرت إلى جِنّى . أما المجموعات القليلة التى بقيت فى الصحراء ، فاشتهرت باسم « الأزير » Azer .

هذا ، وقد استعمل الفولانيون والهوسا والصنغى ، تسمية أخرى ، أطلقتها

على السوننك وهى : أنجرا أو نقاره[١] أو وعكرى[٢] (Ungara, Wangara,
(٣) Wangarawa, Wangarabe, Wankore, Wakore)

وكانت هذه المجموعة قد هاجرت فيما بعد إلى بلاد الهوسا ، وتدعى أنها من أصل فارسى ، واشتهرت المنطقة التى أقامت فيها بهذه التسمية « ونقاره » ، والمعروف أن هذا المصطلح يطلق كذلك على الماندنجو ، كما عرفت به منطقة مناجم الذهب .

أما مجموعة الدياوارا Dyawara ، التى استقرت فى منطقة كنجى Kingi وهى أصلا من منطقة ديا Dya ، فبالرغم من لغتها السوننكية ، إلا أنها تختلف من الناحية التاريخية ، عن بقية المجموعات السوننكية ، كما أن مستعمرات هذه المجموعة المتفرقة فى جيد يمابا Gidimaba وكيز Kayes وبافولاب Bafulabe وغيرها ، تتكلم بلغة القبائل التى أقامت بينها واختلطت بها .

ومن أشهر أقسام السوننك الرئيسية ، كما يقول بنجر Binger هى :

١ — السيسون Sissé

٢ — آل بكر Bakari

٣ — السايون Sillé

٤ — الديالى Diali

٥ — الساخو Sakho

٦ — الكابا Kaba

٧ — الدوكورى Doukouré

---

(١) الصيغة العربية عن البكرى والإدريسى .
(٢) الصيغة العربية عن صاحب الفتاش والسعدى .
(٣) يدل المقطع الأخير (wa -) فى هذه الكلمة وأمثالها على النسبة ومعناها إذن : أهل ونقاره أو الونقاريون .

٨ — النياخاتى Niakhaté

٩ — الدياورا Diaoura وهؤلاء الأخيرون: ينقسمون بدورهم إلى فرعين هما الساجوى Sagoué والدابو Dabo .

والراجح أن هذه الأقسام : عبارة عن العشائر الكبرى أو الأسر الكبيرة التى اشتهرت بين السوننك بدليل أن الحكومة السوننكية الوطنية ، كان ملوكها من آل سيسى[1] .

وهناك أقسام أخرى ثانوية أو فرعية ، منها : الجاساما Gassama والتابورى Tabouré والدياخابا Diakhaba والفسورو Fissourou والفاديجا Fadiga والدافى Dafé والبيريتى Bérété الخ[2] . .

* * *

وأول حكومة قامت فى غانة ، حكومة من البيض ، يقال إنها ترجع إلى حوالى القرن الأول الميلادى ، ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادى ، والمتواتر فى بعض المصادر ، أن جماعة من المهاجرين البيض الساميين جاءت من الشرق ، أو من شمالى أفريقيا ، ومن برقة بصفة خاصة ، واستقرت

---

(١) أنظر ما يلى :

(٢) راجع : L. Lug, Loc. cit., p. 59 ; Baumann, Loc. cit., p. 453 ; Wiedner, Loc cit., p. 28 ; Bovill, Loc. cit., pp. 69, 81, 194 ; Bernard, Loc. cit., p. 423 ; Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, pp. 95, 102 ; Urvoy, Y., Petit Atlas Ethno-démographique du Soudan, p. 29 ; Spitz, G., L'Ouest Africain Français, p. 61 ; De La Roncière, Loc. cit., p. 84 ; Trimingham, Loc. cit., pp. 13-14 ; Palmer, R., The Born Sahara and Sudan, The Map (Pocket at End).

سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقية (الترجمة العربية) ص ٥٤ .

انظر كذلك : Binger, Du Niger au Golfe de Guinée (Paris, 1892).

وفى وقت ما خلال القرن الرابع الميلادى، استطاع هؤلاء البيض أن يبسطوا نفوذهم على الوطنيين الذين عاشــوا بينهم ، وظهر بين البيض زعيم قوى اسمه « كارا » Kara استطاع أن يؤسس دولة نواتها منطقتا أوكار وهوذ Hodh ، ويطلق المغاربة اسم أوكار ليشمل هوذ كذلك ، وظلت سلالته تحكم هذه الدولة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادى ، ويقال أن كارا هذا اسم فرع إسرائيلى(٣)

يقول دلافوس Delafosse وسبيتز Spitz إن هؤلاء البيض من اليهود السوريين ، الذين كانوا يقيمون فى برقة ، وأنهم هم الذين أسسوا حكومة غانه الأولى(٤) وعن المسعودى أن حكام غانه الأول جاءوا إليها من الحبشة ، وهم من جنس به دماء عربية(٥) .

والمحقق أن حكام غانه الأول من البيض ، يقول السعدى : « وهم بيضان

---

(١) أنظر خريطة امبراطورية غانة .

(٢) Spitz, p. 61 ; Fage, p. 18 ; Couilly, p. 50 ; Wiedner, p. 28.

(٣) De Pedrals, Manuel scientifique de l'Afrique Noire, pp. 131-132 ; Spitz, p. 61 ; Yver, G., Ghana (Encycl. of Islam), vol. II, p. 139.

(٤) De La Roncire, I, pp. 86, 102-108.

انظر أيضا : Nahoum Slousch, Etude sur l'Hist. des Juifs au Maroc, Paris, 1909.

(٥) Hogben, p. 27.

فى الأصل[١] ، غير أن الشك يدور حول أصولهم الغامضة ، هل هم من اليهود أم من البربر ، يقول السعدى :

« ولا نعلم أصلهم » ؛ والراجح أنهم من البربر ، الذين اختلطوا بالزنوج ، وصلة قبائل البربر ببلاد السودان قديمة ، ثم إن أهل غانه أنفسهم يقولون إن أ . ربرية كانت تحكم فى بلادهم منذ زمن بعيد ، ويقول بومان ، بأن مؤسسى حكومة غانه الأولى هم : البيض الأفريقيون من الفولانيين أو من البربر الليبيين [٢] ، ويقول محمود كعت : واختلف : أى قبيلة هم كانوا منها ، قيل من وعكرى[٣] ، وقيل من ونكر[٤] ، وهو ضعيف لا يصح ، وقيل من الصنهاجة ، وهو أقرب عندى ، لأنهم يقولون فى نسبهم أسكع ، وهو حم فى اصطلاح سودان لقباً ، والأصح أنهم ليسوا من السوادين والله أعلم ، وقد بعد زمانهم . . .[٥] والخلاصة أن حكومة غانه الأولى من البيض ، والراجح أنها من البربر ، ولها أصول شرقية .

والتواتر أن عدد ملوك هذه الأسرة التى حكمت غانه : بلغ نحو ٤٤ ملكاً يقول السعدى :

« وأول سلطان فى تلك الجهة هو قيمغ ، ودار إمارته غانه ، وهى مدينة عظيمة فى أرض باغن[٦] ، قيل إن سلطنتهم كانت قبل البعثة ، وتلك

(١) تاريخ السودان ص ٩ .

(٢) Fage, p. 18; Bovill, p. 69; Hogben, p. 27, Baumann, p. 392. Yver, p. 139; Davidson, Old Africa Rediscovered, p. 63.

(٣) نقلتها المراجع الأجنبية Wakore

(٤) نقلتها المراجع الأجنبية Wangara

(٥) الفتاش ص ٤٢ .

(٦) نقلتها المراجع الأجنبية Baghana

٢٢ ملكا ، وبعد البعثة ملكها ٢٢ ملكا ؛ وهم بيضان فى الأصل ؛ ولا نعلم أصلهم وخدامهم عكريون »[١] .

على أن هذا الرقم ليس دقيقاً ، بدليل أن صاحب الفتاش ، ذكر ، أن من حكم من هؤلاء الملوك قبل البعثة النبوية ، بلغ عددهم نحو ٢٠ ملكا[٢] ، وقد أوضح صاحب الفتاش كذلك أن كيَمَع ، كما ضبطه ، ليس اسماً ، وإنما هو لقب : يقول : « وَكَيمَع فى لغة وعكرى ملك الذهب » [٣] .

وأورد صاحب الفتاش اسم ملك ، كان يعاصر الرسول (ص) ، أى فى القرن الأول الهجرى والسابع الميلادى ، وهو كَنِسَعيْ ، كما ضبطه ؛ قال : « وحدثنى بعض السلف أن آخرهم كَنِسَعيْ . . . وهو الملك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم » [٤] .

الخلاصة : لم يعرف ، حتى الآن ؛ فيما أعلم ، من ملوك الحكومة الأولى التى قامت فى غانه سوى ثلاثة أسماء أو اسمين ولقب ، هى : كيَمَع أو كيَمَغ وكارا وكَنِسَعيْ » .

١ — (كيَمَع) كان يحكم فى وقت ماقبل القرن الرابع الميلادى .

٢ — كارا حكم خلال القرن الرابع الميلادى .

٣ — كَنِسَعيْ كان يحكم خلال القرن السابع الميلادى .

---

(١) تاريخ السودان ص ٩ أنظر كذلك :
Fage, p. 18, Okafor, p. 27 ; L. Lug, p. 90.
De La Roncière, I, p. 103 ; De Pedrals, p. 132.

(٢) الفتاش ص ٤١ .

(٣) الفتاش ص ٤١ أنظر كذلك De La Roncière, I, p. 103.

(٤) الفتاش ص ٤١ .

وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون إمبراطورية غانه حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادى[1] .

اتسع نفوذ هذه الحكومة ، حتى صار يشمل المساحات الممتدة بين أعالى نهر السنغال وأعالى نهر النيجر ؛ وذكر سبيتز Spitz أن إمبراطورية غانه زمن هذه الحكومة كانت زراعية إقطاعية غير أن هذا لم يحل دون إفادتها من التجارة والذهب ، إذ أن عظمة غانة التاريخية قامت على ثروتها من الذهب والتبادل التجارى ، وأن ملوكها قد بلغوا من القوة والثراء ، بحيث صاروا يلقبون بملوك الذهب ، كما صارت بلادهم تعرف بأرض الذهب[2] .

ولقد أفاض صاحب الفتاش فى وصف قوة غانة وسعة نفوذها وعظمة ملوكها ؛ وأورد أخباراً عن الملك كَنْسَعِىْ ، المعاصر للرسول (ص) هى أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة ، إلا أنها تصور ، على أية حال ، عظمة ملوك هذه الدولة ، ومدى ما كانوا عليه من ثراء وقوة فهو يقول ، مثلا :

« إن له ألف خيل مربوطين فى داره ، عادة معروفة ، إن مات واحد منهم فى صبح جىء بآخر مكانه قبل المساء وفى الليل كذلك ، ولا ينام واحد منهم — أى من الخيل — إلاّ على زربية ، ولا يربط إلا بحرير فى عنقه وفى رجله ، ولكل منهم آنية من النحاس يبول فيها ، لا يقطر من بوله على الأرض قطرة ، إلا فى الإناء ، لا فى ليل ولا فى نهار ، ولا ترى

---

(١) اختلفت المصادر فى تحديد نهاية حكم الأسرة الأولى هذه فذكر بعض الكتاب أنها انتهت عام ٧٧٠ م بينما ذكر البعض الآخر أن نهايتها كانت فى عام ٧٩٠ م .

(٢) أنظر ما يلى وراجع : Bovill, pp. 67-68.

زبلا واحداً تحت واحد منهم ، ولكل منهم من الخدم ثلاثة أنفس ، يجلسون تحته ، واحد منهم يقوم بعلفه ، وواحد منهم يسقيه ، وواحد منهم موكل على رصد بوله وحمل زبله »[1] .

وحوالى نهاية القرن الثامن الميلادى ، قامت أسرة من السوننك ، وهى أسرة سيسى Sissés أو Sosse ، ونجحت فى طرد أسرة البيض الحاكمة أو دولة كيمع وكانت هذه الأسرة الجديدة تتحكم فى منطقة وجادوا Wagadu[2] .

ويحتمل أن أول ملوك الحكومة السوننكية لم يكن من آل سيسى الذين اشتهر أمرهم ، وإنما كان من آل وكورى ، وأن آل سيسى أزالوا حكم هذه الأسرة السوننكية المنافسة وحلوا مكانها ، فقد ورد أن الملك بنتجوى دوكور Bentigui Doukoure كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

وصور صاحب الفتاش نهاية الحكومة الأولى بقوله :

« ثم أفنى الله ملكهم ، وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم واستئصالهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم ، حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجون الأجنة ويقتلونهم »[3]

ظلت الأسرة السوننكية الجديدة تحكم إمبراطورية غانه حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى باستثناء الفترة التى استولى خلالها المرابطون على عاصمة غانة من عام ١٠٧٦ — ١٠٨٧ م[4] وفى عهد هذه الأسرة بلغت

---

(١) الفتاش ص ٤١

(٢) De Pedrals, pp. 132, 392 ; Fage, p. 18 ; De La Roncière, I. p. 86.

(٣) الفتاش ص ٤٢

(٤) أنظر ما يلى

إمبراطورية غانه ذروة مجدها وعظمتها واتساعها . كما اشتهرت بثرائها وقوتها ، أما أعضاء الأسرة الهاربة ، فقد اتجهوا مع أنصارهم إلى بلاد تكرور ، حيث اختلطوا بالتكاررة ؛ ويقال إن هؤلاء البيض الهاربين ، ولم يعودوا بيضاً ، كما كانوا فى الأصل ، إذ تغيرت ألوانهم حتى صاروا أشبه بالزنوج ، نجحوا فى التحكم السياسى فى منطقة تكرور ، وظلوا أصحاب النفوذ حتى القرن الحادى عشر ؛ عند ماهب التكاررة وطردوا هؤلاء المتعصبين ، ويقول بعض الكتاب إن هؤلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم الفولانيين » [(١)] .

وليس من المعروف من ملوك الأسرة السوننكية سوى خمسة أسماء هى : بنتجوى وتكلان وبلوتان وبسى ومن بعده تنكامنين Tenkamenin وهو ابن أخت بسى ، وكان تنكامنين يعاصر البكرى (١٠٩٤م) ؛ وولى هذا الملك عرش غانه حوالى ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م أى قبل فتح المرابطين غانه بقليل [(٢)] .

١ — بنتجوى دوكورى Bentigui Doukouré كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

٢ — تكلان : Tiklan كان يحكم حوالى مطلع القرن التاسع الميلادى .

٣ — تلوتان أو بولاتان Tloutan or Boulatan وهو ابن السابق ، كان يحكم حوالى عام ٨٣٧ م .

---

(١) Fage. p. 18 ; Baumann, p. 390 ; Davidson, p. 64. De Pedrals, pp. 59-62, 132, 151-152.

(٢) المغرب ؛ ص ١٧٤ أنظر كذلك :
L. Lug., p. 95 ; Hogben, p. 28 ; Wiedner, p. 28 ; Bovill, p. 69 ; De Pedrals, p. 132 ; De La Roncière, I, pp. 86, 103.

٤ — بسى Beci توفى حوالى عام ١٠٦٣ .

٥ — تنكامنين وهو ابن أخت السابق . ولى عرش غانه حوالى عام ١٠٦٣ .

* * *

والظاهر أن لقب « كيمع » أى ملك الذهب . ظل يطلق على جميع ملوك غانه ؛ سواء أكانوا من الحكام البيض الأول « أو من حكام السوننك السود . الذين حكموا منذ نهاية القرن الثامن الميلادى ، بدليل ماذكره الفتاش ، من أن سلطنة مالى لم يستتم أمرها إلا بعد انقراض دولة كيمع والواضح تاريخياً أن زوال إمبراطورية غانه كان فى مطلع القرن الثالث عشر على يد الصوصو .

ولعل شمول هذا اللقب لجميع ملوك غانه. هو الذى جعل بعض كتاب الغرب يخلطون ، أمثال ج ، يفر G. Yver ودو بدرالز De Pedrals ، فجعلوا كيمع أول ملوك حكومة السوننك الزنوج من آل سيسى ، وهى التى ورثت السلطة فى غانه بعد حكومة البيض الأولى ، مع أن ألفع محمود كعت يقول إن « كيمع من الملوك الأوائل وقد قضى منهم عشرون ملكا قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] ويقول السعدى : « وأول سلطان فى تلك الجهة هو قيمع ودار إمارته غانه »[2] .

والخلاصة أن لقب ملك الذهب أو كيمع أو قيمغ ، أطلق على جميع حكام غانة ، أرض الذهب منذ عهد الحكومة الأولى حتى اختفاء غانه من التاريخ فى القرن الثالث عشر الميلادى .

---

(١) الفتاش ص ٤٢ .
(٢) تاريخ السودان ص ٩ .

كان حكام غانه الجدد أقوى من أسلافهم البيض[1] ، إذ عملوا على توسيع حدود ملكهم .

ففي عهد هذه الأسرة « استولت غانه على أوْدغست[2] ، وهي عاصمة إمبراطورية إسلامية سادتها من البربر من قبيلة لمتونه ، وقد تم فتح أودغست حوالى سنة ٩٩٠ م ، ووضع حكام غانه عليها حاكماً سوننكيا أسودا ، وربما اتخذها ملك غانه محل إقامة له في بعض الأوقات ، ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت أودغست خاضعة لغانه وتدفع لها الجزية ، حتى منتصف القرن الحادى عشر تقريباً ، وكان خضوعها لسادة غانه ، من بين الأسباب التي دفعت المرابطين فيما بعد إلى مداهمتها وعقابها جزاء هذا الخضوع[3] .

ومن البلاد الهامة التي خضعت لامبراطورية غانه ، مدينة ولاته وأنباره وكوغه والوكن وسامه . ويصف البكرى أهل سامه ، بقوله ، إنهم « يسمون بالبكم ، ولهم حذق بالرماية يرمون بالسهام المسمومة ، ويورثون الابن الأكبر مال الأب كله[4] » .

---

(١) Yver, p. 139.

(٢) أودغست لا وجود لها اليوم ، ولكنها كانت تقع ، بحسب رواية البكرى ، على بعد مسيرة نحو شهرين من سجلماسه ، و خمسة عشر يوما من عاصمة غانه ، ومكانها الآن مدينة تجداوست – Tegdaoust شرقي منطقة تاكانت – Tagant ، وتقع ضمن جمهورية موريتانيا الحديثة .

(راجع الشنقيطى : الوسيط ص ٤٣٧ ، وعنه أخذت الصيغة العربية الأصيلة لمنطقة تاجانت كما كان ينطقها العرب ؛ المغرب ص ١٥٩ . Baumann, p. 392 ; Bovill, p. 69.

(٣) البكرى ص ١٧٩ ، تقويم البلدان ص ٧٢–٧٣ :
Fage, p. 21 ; Davidson, p. 85 ; Le Chatelier, pp. 127-128 ; L. Lug., pp. 91-93 ; De Pedrals, p. 132 ; Yver, p. 139 ; De La Roncière, I, pp. 83-84, 129 ; II, p. 143.

(٤) المغرب ص ١٧٩ ، انظر كذلك : الشنقيطى : الوسيط ص ٤٤٢ ، نزهة المشتاق ص ٢٠ ؛ Okafor, p. 27 ; Delafosse, Traditions..., pp. 6-18.

بلغت إمبراطورية غانه ذروة قوتها واتساعها خلال الفترة من القرن العاشر الميلادى إلى قرب أواخر القرن الحادى عشر ، وشملت من الأقاليم الهامة ، بجانب أوكار وهوذ ، باسِّيكُورُ Bassikuru ووجادو فى الشرق وديارا Diara فى الغرب وكانياجا Kaniaga موطن الصوصو ، فى الجنوب الشرقى(١) والواقع إن مدى اتساع إمبراطورية غانه ، ليس معروفاً بالضبط ، ولكن المحقق أن نفوذها كان واسعاً ، بحيث إنها كانت صاحبة السيادة والنفوذ فى جميع المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط الأطلسى ، وصارت أعظم قوة سياسية فى السودان الغربى ؛ ويمكن القول بصفة عامة ، إنها امتدت من ناحية الشمال ، فخضع لها أغلب قبائل الصحراء الجنوبية ، وربما وصلت غزواتها إلى منطقة أدرار وامتدت من ناحية الغرب إلى أعالى السنغال وفرعه باول Bawle وحدود مملكة التكارره ، ومن الشرق إلى قرب تنبكت وجنوباً بغرب ، إلى أعالى النيجر وأعالى السنغال ومنطقة الذهب فى ونقارة ، لكنها لم تتحكم فى ونقاره نفسها . وهناك احتمال بأنها امتدت فى بعض الأحيان إلى المشارف الشمالية لما هو جمهورية غانه الحديثة ، وهى التى كانت معروفة من قبل باسم مستعمرة ساحل الذهب ، وإلى أطراف منطقة الغابات الاستوائية ، بحيث اقتربت من مواطن الوثنيين المعروفين فى الكتب العربية باسم « الكفار اللملمية » Lem Lem كما يقول الإدريسى(٢) .. وعن المسعودى : « وتحت يد ملك غانه عدة ملوك وممالك(٣) » .

---

(١) أنظر الخريطة :

(٢) نزهة المشتاق ص ١٤ ، قداح ص ٢٨–٢٩ ؛
Bovill, pp. 60, 84 ; Okafor, p. 27 ; Fage, pp. 18, 19, 22 ; Davidson, pp. 84 85 ; Hogben, p. 28 ; Gouilly, p. 50, Yver, p. 139.

أنظر الخريطة

(٣) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٣٩ .

***

أما عاصمة هذه الإمبراطورية فقد ازدهرت زمن حكومة السوننك الوثنية إلا أن تأسيسها يرجع إلى عهد حكومة البيض الأولى ، ويقال إنها بنيت حوالى عام ٣٠٠ م[٢] ، وظلت تنمو بالتدريج ، ونظراً لقدم الإسلام فى بلاد غانه[٣] فإن حيًّا إسلاميًّا قام بعاصمة غانه حتى صار مدينة كبرى قائمة بذاتها ، وحسبنا الأوصاف الدقيقة ، التى أوردها الكتاب العرب المسلمون عن هذه المدينة وأقسامها . . .

يقول البكرى :

« ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، إحداهما المدينة التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً ، أحدها — يجمعون فيه — أى يقيمون فيه صلاة الجمعة — ولها الأئمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء ، وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات .

« ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة[٤] ، والمساكن بينهما متصلة ، ومبانيهم من الحجارة وخشب السنط ، وللملك قصر وقباب ،

---

(١) القشاش ص ٤٢ .

(٢) Spitz, p. 61 ; Yver, p. 139 ; Davidson, p. 63 ; Pedrals, p. 138 ; Baumann, p. 391 ; Gravier, Recherches sur les navigations européennes faites au Moyen-Age, p. 17.

(٣) أنظر ما يلى :

(٤) أخذت الغابة اسمها من الأحراش التى كانت تحيط بها .

وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور . وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين، على مقربة من مجلس حكم الملك، وحول مدينة الملك قباب وغابات .. يسكن فيها سحرتهم ، وهم الذين يقيمون دينهم ، وفيها دكاكيرهم — الدكور هو الصنم — وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس . ولا يتمكن أحد من دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهنالك سجون الملك ، فإذا سجن فيها أحد انقطع عن الناس خبره[1]

وتشبه هذه الغابة ما عرف عند الجرمان الأولين باسم الغابة المقدسة[2] .

وعن الإدريسى : « غانه مدينتان على ضفتى البحر الحلو ، وهى أكبر بلاد السودان قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً »[3] ، ويقول فى موضع آخر : « ولهم — أى سكان العاصمة — زوارق يتصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين بها[4] » .

وعن ابن الوردى :

« هى مدينتان على ضفتى النيل ، ويقصدها التجار من سائر البلاد »[5] ويقول القلقشندى « إنها مدينتان على ضفتى نيلها ، إحداهما يسكنه المسلمون ، والثانية يسكنها الكفار[6] » . وعن المقريزى « وغانه مدينتان : إحداهما يسكنها المسلمون والاخرى الكفار »[7] .

---

(١) المغرب ص ١٧٤ — ١٧٥ أنظر كذلك :
Bovill, p. 81 ; Hobgen, p. 28 ; Davidson, p. 89.

(٢) راجع تاكيتوس والشعوب الجرمانية للمؤلف ص ٥٥ .

(٣) نزهة المشتاق ص ٩ .

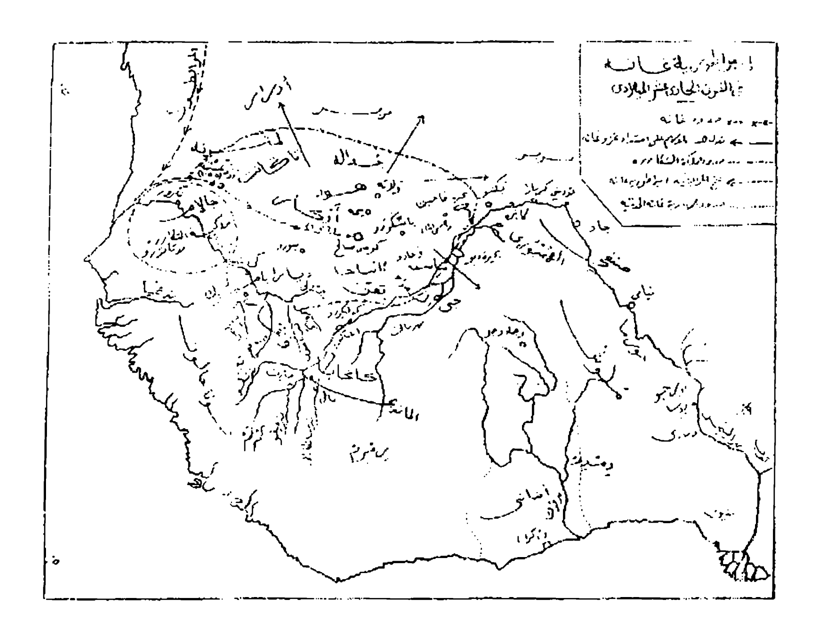
(٤) نزهة المشتاق ص ٢١

(٥) تاريخ ابن الوردى ص ٢٥٨ .

(٦) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٤ .

(٧) الإلمام ص ٢٣ .

وموقع مدينة غانة القديمة ، موضع نقاش وجدل ، ولكن أطلالها ، تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا الحديثة ، وتقع ضمن أراضي جمهورية مالي الحديثة . لقد أخطأ ليو الأفريقي حين قال إن غانه هي



نفس مدينة « كانو » الواقعة في شمالي بلاد الهوسا بنحو ٢٠٠ ميل[1] ؛ وظل هذا الخطأ شائعاً عند الأوربيين حتى ظهر كتاب كولي Cooley عام ١٨٤١ ، وأوضح بدقة موضع غانه في مكان ما جهة الغرب[2] وهي على طريق القوافل الغربي القادم من مراكش ؛ والمكان الصحيح يبعد عن تنبكت بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي منها وعلى بعد نحو ألف ميل شمالي جمهورية غانه

---

(١) ليو الأفريقي : الكتاب السابق ص ٢٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٩٢

Cooley, pp. 45-47. (٢)

بدأت هذه الحفائر عام ١٩٠٧ على يد العالم الأثرى الفرنسى دبلاج L. Desplagues فعثر على أطلال مدينة تدل على أنها كانت مزدهرة ، وقال : إن هذه هى أطلال غانه ، وإنها كانت تقع على جانبى بحيرة صغيرة ، وحدد مكانها على بعد نحو مائتى ميل غربى مدينة جنِّى ونحو ٤٠ ميلا شمال شرق مدينة كوليكورو ، الواقعة شمال باماكو (٣) .

وفى عام ١٩١٤ قام حاكم فرنسى لإحدى المقاطعات واسمه بونى ميزيير B. Mézières ، وحفر فى موقع فى المنطقة المشهورة باسم « الساحل » جنوبى الصحراء الكبرى ، واقتنع بأن هذا الموقع يحتمل أن يكون مكان عاصمة غانه ، التى وصفها البكرى . استمر الحفر فى [illegible] قم المعروف باسم [illegible] صالح وحدد بعده عن باماكو [illegible] ٢٠٥ [illegible] (٤) [illegible] المعهد الفرنسى لأفريقيا السوداء بداكار (I.F.A.N.) [illegible]

[illegible] عام ١٩٢٩ [illegible] الحرب العالمية

(١) Shinnie, Ancient African Kingdoms, pp. [illegible] ; Page, p. [illegible]

(٢) Bovill, pp. 80-81 ; Gouilly, pp. [illegible]

(٣) Hogben, p. [illegible]8

(٤) De La Roncière, I, pp. 86, 87, 108

(٥) [illegible]

الثانية ، وبعد عشر سنوات ، قام توماسي وموني Thomassy and Mauny (١٩٤٩ — ١٩٥٠) بإتمام العمل ، وفحصا ما عثرا عليه من آثار ، على ضوء المعلومات التى تجمعت لديهما[١] .

أوضح هذان الباحثان ، فى عام ١٩٥١ ، أن الآثار التى عثرا عليها ، ليست سوى بقايا المدينة الإسلامية أو القسم الاسلامى من مدينة غانة ؛ ودلت هذه الآثار على أن هذه المدينة كانت زاهرة ، وتشغل نحو ميل مربع من الأرض ، وسكنها ما لا يقل عن ٣٠ ألف نسمة ، وهو عدد ضخم بالنسبة لسكان مدن العالم المعروفة يومئذ[٢] .

والراجح أن هذه المدينة الإسلامية ، كانت مركز الحكومة الإسلامية التى قامت فى غانة فى عهدها الأخير ، أى عندما صار ملوك غانة على الإسلام[٣]. وتشبه هذه المدينة ، المدينة الصنهاجية حالياً ، والمعروفة باسم سالونجارى Salungaric الواقعة قرب مدينة كانو[٤] .

كشفت الحفريات عن عدد من المنازل والمساجد ، ومن بين ما كشفه توماسى ، مؤسستان أو مبنيان كبيران ، يحتمل أن أحدهما كان يبلغ فى الطول نحو ٦٦ قدماً وأن عرضه أو اتساعه بلغ نحو ٤٢ قدماً ، وبه سبع غرف مفتوحة داخل بعضها البعض ، وأن هذا المبنى كان يتكون من طابقين بينهما سلم . أما المبنى الآخر فهو أكبر من الأول ، وكان يضم تسع غرف ، ولا تزال على جدرانه الداخلية بقايا الطلاء الأصفر[٥] .

(١) Davidson, p. 86 ; Church, p. 238 ; Shinnie, p. 49.

(٢) Davidson, p. 86.

(٣) Davidson, p. 86 ; Bovill, p. 68.

(٤) Davidson, p. 85.

(٥) قداح ص ٣٢ ؛ Shinnie, p. 48 ; Davidson, p. 87 ; De Pedrals, pp. 131-132.

ولم يعثر على شيء من الذهب أو الفضة ، ولكن عثر على مخزن كبير به أدوات مصنوعة من الحديد ؛ وقد عاق مونى Mauny على هذه المكتشفات بأنها دليل ناصع على حضارة متقدمة ، مما يدعم مقالة الزهرى عن شدة بأس أهل غانة لأنهم استخدموا الأسلحة الحديدية ، وكان ذلك سبب انتصارهم على الجيران الذين كانوا يحاربون بقضبان من الأبنوس(١) .

ومما عثر عليه فى أطلال كومبى صالح ، حراب وسكاكين ورؤوس سهام ومسامير ، ومجموعة مختلفة من الآلات والأدوات الزراعية ، وتعلق مارجريت شينى ، بأن هذه لابد وأنها صنعت محلياً(٢) . كذلك عثر على مقص حديدى دقيق الصنع ، ربما كان من أقدم ما عثر عليه من هذا النوع فى أية دولة(٣) ووجدوا فضلا عن ذلك كمية كبيرة من الصنج الزجاجية ، من الواضح أنها كانت تستخدم فى وزن الذهب ، وهناك بقايا كثيرة من الأوانى الفخارية ، تحمل طابع البحر المتوسط ، و ٧٧ قطعة من الحجر الملون ، منها ٥٣ قطعة أو لوحاً مكتوب عليها بعض آيات القرآن الكريم بالخط العربى ، بينما تضم الألواح الأخرى وعددها ٤٢ لوحاً ، زخارفاً ونقوشاً(٤) .

وكشف كذلك عن عدد كبير من المقابر ، من بينها مقابر ملكية ، ومن هذه اللوحات شواهد قبور .

ولم يتم الحفر بعد فى موقع كومبى صالح ، ويمكن القول : إن هذا هو كل ما عثر عليه حتى عام ١٩٦٥ م ولم يعثر للآن على شيء من آثار مدينة الغابة

---

(١) Shinnie, p. 45.

(٢) Shinnie, p. 48. أنظر اللوحات

(٣) Shinnie, p. 49. أنظر اللوحات

(٤) Shinnie, p. 49 ; Davidson, p. 87. أنظر اللوحات

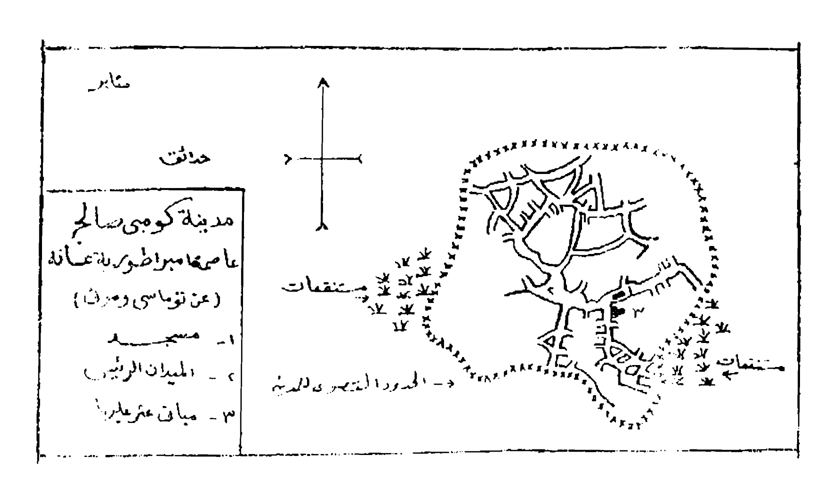
الوثنية ، أو القسم الوثنى من مدينة غانة[1] ، ويبدو أنها اندمجت فى المدينة الإسلامية وعفت آثارها الوثنية ، وذلك بعد أن تحولت حكومة غانة إلى الإسلام قرب نهاية القرن الحادى عشر الميلادى .

---

(١) Bovill, pp. 68-69 ; De La Roncière, I, pp. 85-86.

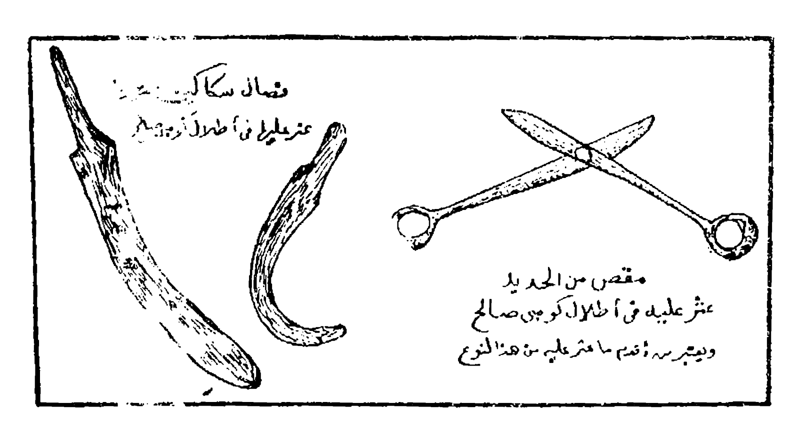
راجع كذلك : De Pedrals, p. 133 ; Mauny, R., Gravures, peintures et inscriptions rupestres de l'Ouest Africain, (Dakar, 1954).

به مجموعة من الصور والخرائط والبيانات عن المواقع التى تمت فيها عمليات الحفر فى كاوار وتاجانت وولاته وغيرها ، فضلا عن مجموعة قيمة من المراجع المعاصرة ، وقد صدر هذا الكتاب أو التقرير عن المعهد الفرنسى لأفريقية السوداء (I.F.A.N.)



اللوحة الأولى : مدينة كومبى صالح

عاصمة إمبراطورية غانة



اللوحة الثانية : بعض آثار مدينة كومبي صالح

عاصمة إمبراطورية غانة

مقص من الحديد - نصال سكاكين



اللوحة الثالثة :

شاهد قبر لسيدة مكتوب باللغة العربية ، عثر عليه في أطلال مدينة كومبي صالح عاصمة

إمبراطورية غانة الإسلامية .

والعبارة المكتوبة :

اللهم ارحم

فاطمة الطا[هرة]

... بنت سيد

نا محمد ابن

سيد موسى

الفصل الثانى

غانه الإسلامية

قدم الإسلام فى غربى أفريقيا : الاتصال التجارى والثقافى وأثره — جهود إمبراطورية أودغشت فى نشر الإسلام فيما حولها — إسلام ملك التكرور وأثره — قدم الإسلام فى غانه : ما يقال عن وصول فرقة من الجيش الأموى إلى غانه — نمو المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامى فى عاصمة غانه — أهمية المسلمين فى غانه — إسلام بعض ملوك غانه من السوننكى فى القرن التاسع الميلادى — دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غانه وغيرها — قيام حكومة غانه الإسلامية — إرتباط ملوك غانه المسلمين بالخلافة العباسية وادعاء النسب العلوى .

* * *

الإسلام قديم فى السودان الغربى والأوسط ، ولم يكن المرابطون الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، هم الذين أدخلوا الإسلام فى تلك البلاد لأول مرة ، بل إن حركتهم أدت إلى إزدياد عدد الداخلين فى الإسلام .

فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة ، بين بلاد السودان وبلاد البحر المتوسط ، وقد كثرت هجرة المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من العرب والبربر إلى بلاد السودان ، منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر وشمالى

أفريقية ؛ ولقد احتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد .

وهناك جهود إمبراطورية أودغست الإسلامية وتفاني ملوكها في نشر الإسلام بين الزنوج . وقد بلغت هذه الامبراطورية ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وقامت بدور كبير في الدعوة إلى الإسلام قبل حركة المرابطين

والمعروف أن أودغست مدينة سوننكية الأصل ، ولو أن حكامها من البربر البيض من قبيلة لمتونة . جاهدت هذه الامبراطورية في نشر الاسلام ، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمالي أفريقية ، عبر الطرق الصحراوية . والسلعة الهامة المطلوبة لبلاد السودان هي « الملح » . يقول ابن حوقل : « وحاجة ملوك السودان إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام »[1] : ويقول أيضاً : « وملك أودغست يخالط ملك غانة[2] » .

ويذكر عن الملك الأودغستي تيبوتان Tibotan أنه كان شديد التحمس لنشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب [3] ، وأن الملك تين يروتان ابن وانسيو بن نزار الأودغستي ، كان قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السلطان ما جعله سيداً على أكثر من عشرين من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية[4] . كان هذا الملك يحكم في الفترة ما بين ٩٦١ — ٩٧١ م .

---

(١) صورة الأرض ص ٢٠١ .

(٢) صورة الأرض ص ١٠١ .

(٣) L. Lugard, p. 107.

(٤) البكرى ص ١٥٩

كل تلك جهود وصلات مباشرة بين المسلمين و بلاد السودان ، لها أثرها لاشك فى دخول أعداد كبيرة فى الإسلام قبل القرن الحادى عشر .

وفى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ، جاء إسلام ملك التكرور وارجابى بن رابيس (ت حوالى ٤٣٢هـ / ١٠٤٠ م) ، عنصراً هاماً فى ازدياد انتشار الإسلام ، وهو صاحب الفضل فى إسلام أهل « سلى »[١] من أعمال تكرور . ويقول البكرى : إن المسافة بين سلى وبين غانه « عشرون يوماً فى عمارة بلاد السودان[٢] » .

وليس من شك فى أن هذه الصلات المتنوعة ، وهذه الجهود البارزة ، قد أدت إلى انتشار الإسلام فى غربى أفريقية ؛ ولما كانت غانه جزءاً من غربى أفريقية فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنيها ، بدرجات متفاوتة ، لكن لا نستطيع أن نقول إن البلاد كلها ، حكومة وشعباً ، أو حكاماً ومحكومين ، قد اعتنقت الإسلام ، أو أن الإسلام صار الدين الرسمى لأمبراطورية غانه .

والراجح أن أعداداً كبيرة من سكان غانه قد اعتنقت الإسلام، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانه فى زمن مبكر ، قبل دور المرابطين .

وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام فى غانه ، فقد ذكر البكرى (ت ١٠٩٤ م) أن بنى أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً افتتح بلاد السودان فى صدر الإسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش فى بلاد غانه ، وكما

---

(١) كتبتها المراجع الأجنبية **Silla**

(٢) المغرب ص ١٧٢-١٨٣ : أنظر كذلك : نزهة المشتاق ص ٣ ؛ ديشان : الديانات فى أفريقية السوداء (الترجمة العربية) ص ١٢٥

وعبارة البكرى :

« وببلاد غانه قوم يسمون بالهنيهين ، من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه إلى غانه فى صدر الاسلام ، وهم على دين أهل غانه ، إلا أنهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه »[1] .

ويقول القلقشندى عن إسلام أهل غانه : « وكان أهلها أسلموا فى أول الفتح »[2] ثم إن نمو الحى الإسلامى بعاصمة غانه ، أو المدينة الإسلامية ، ليس من المعقول أن تكون قد ظهرت مرة واحدة أو خلال وقت قصير ، بحيث أصبحت تضم اثنى عشر مسجداً ، وأنها صارت موطناً لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم .

يقول البكرى :

« ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة الإسلامية التى يسكنها المسلمون وهى [illegible] فيها اثنا عشر مسجداً ، أحدها يجمعون فيه [illegible] الجمعة [illegible] الأئمة والمؤذنون . وفيها فقهاء [illegible] يشربون وعليها يعتملون [illegible] »[1]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(1) [illegible]

ومن الظواهر البارزة فى تاريخ إمبراطورية غانه ؛ حتى فى عهد الحكومة الوثنية ، أن المسلمين لكثرتهم وأهميتهم وثقافتهم ونشاطهم ، سواء أكانوا من السوننك الوطنيين أومن المستوطنين من العرب والبربر، تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ؛ ومجرد نمو القسم الإسلامى فى العاصمة ووجود اثنى عشر مسجداً به ، دليل كبير على هذا الاحترام وهذا التسامح ، وأكثر من هذا ، أقام الملك الوثنى مسجداً فى الحى الوثنى من العاصمة وهو « الغابة » لكى يؤدى فيه المسلمون الوافدون عليه شعائر دينهم .

يقول البكرى :

وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجالس الملك[١] . ويصف البكرى الملك الغانى إنه كان « محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين[٢] » .

هذا وإسلام رعايا غانه قبل حكومتها لم يحل دون تولى المسلمين أسمى المناصب فى الحكومة . وحسبنا ماذكره البكرى عن كبار رجال حكومة الملك الوثنية :

« وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه »[٣].

---

(١) المغرب ص ٧٥ .

(٢) المغرب ص ٧٥ .

(٣) المغرب ص ١٧٥ : أنظر كذلك :

L. Lugard, p. 95; Bovill, pp. 81, 84 ; Hogben, p. 28; Davidson, p. 89; Fage, p. 21.

لكن هذا لا يعنى أن جميع ملوك غانه كانوا على الوثنية ، بل هناك رواية أوردها دولا رونسير De La Roncière ، مؤداها أن الملك تلوتان أو بولاتان Tloutan أو Boulatan وهو ابن تكلان Tiklan إعتنق الإسلام حوالى عام ٨٣٧ م ، وأنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين (١) .

وإذا صحت هذه الرواية ، فإنها لا تدل على أن ملوك غانه صاروا مسلمين على التعاقب منذ القرن التاسع الميلادى فصاعدا ، بل المحتمل أن قلة منهم أسلمت وأن غالبيتهم ظلت على الوثنية إلى أن جاءت حركة المرابطين (٢) .

جاء المرابطون فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد بدأوا حركتهم فى المشارف الشمالية لبلاد السودان بإخضاع أودغست عام ١٠٥٥ م . عقاباً لها على خضوعها لحاكم سوننكى . واتجهوا بعد ذلك إلى مدينة غانه واستولوا عليها عام ١٠٧٦م . وتعينوا عليها حاكما من البربر (٣) .

---

(١) De La Roncière, I, p. 103.

(٢) Bovill, p. 84.

(٣) الاستقصاء ج ٢ ص ٢٠ - ٢١ ، الحلل الموشية ص-١١ الديانات فى أفريقية السوداء ص ١٢٢-١٢٣ .

Davidson, p. 85 ; L. Lug., pp. 92-93 ; Fage, p. 22 ; Bovill, pp. 84-85 ; De Pedrals, p. 147 ; Shinnie, p. 50 ; De La Roncière, I, pp. 84, 86, 134 ; Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures, p. 2 ; Rinn, Marabouts..., p. 14 ; Largeau, Le Sahara Algérien, pp. 109-123 ; Hodgkin, T., Islam and National Movement in West Africa (Conference on African Hist. and Archeology, London, 1961).

أنظر كذلك : René-Basset, Mission au Sénégal, Recherches Historiques sur les Maures (Paris, 1910), p. 463 ; Brévie, Islamisme contre naturisme au Soudan Français, p. 143.

ومنذ ذلك الوقت ، أى من أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . يمكن أن يؤرخ لامبراطورية غانه الإسلامية حتى اختفائها من التاريخ فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد أضحت حكومتها إسلامية . ويقال إن الملك تنكامنين السوننكى كان يحكم غانه عند فتح المرابطين لها ، وأنه قبلَ الدخول فى الإسلام ، والخضوع لسلطان المرابطين ودفع جزية ، وأنه بإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرها من المدن فى الإسلام[1] .

والمحقق ، أن الكثير من سكان إمبراطورية غانه ، قد اعتنق الإسلام قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، وأنه منذ فتح المرابطين لعاصمة غانه ، ازداد عدد الداخلين فى الإسلام كما أسلم ملوكها ، وأصبحت الحكومة إسلامية منذ ذلك الوقت ، وظلت كذلك حتى إختفاء غانه من التاريخ فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى[2] .

ومع أن حركة المرابطين أدت إلى إضعاف غانه سياسياً وأن سيادة المرابطين فى غانه أو تبعية غانه للمرابطين لم تستمر طويلا ، فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على أثر وفاة أبى بكر أمير المرابطين ١٠٨٧م ، وتفرق كلمتهم من بعده[3] ، إلا أن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر فى ازدياد انتشار الإسلام وتقوية العقيدة الإسلامية فى السودان الغربى عامة[4] .

(١) قداح ص ٣٠
(٢) أنظر ما يلى وراجع الديانات فى أفريقية السوداء ص ١٢٣
(٣) الاستقصا ج ٢ ص ٢١—٢٢ ؛ Hogben, p. 27.
(٤) Davidson, p. 88.

واشتهر أهل غانه ، وأغلبهم من السوننك ، بحماستهم للاسلام ، وبالدور الكبير الذى نهضوا به فى الدعوة إلى الإسلام ، إذ كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق فى حياتهم الاجتماعية ، حتى أن بعض العشائر السوننكية ، تكاد تختص بالعمل فى الدعوة إلى الإسلام فقط ، بل إن كلمة « سوننك » فى أعالى نهر غمبيا ، إستخدمها الماندنكا الوثنيون مرادفاً لكلمة « داعى » ، مما يدل على الدور الكبير الذى لعبه السوننك فى نشر الإسلام[1] .

ووصف الغرناطى إسلام أهل غانه ومدى محافظتهم على أداء فروض الدين ، بقوله :

« وأهل غانه أحسن السودان سيرةً وأجملهم صوراً ، سبط الشعور ، لهم عقول وفهم ، ويحجون إلى مكة »[2] .

إزداد عدد الداخلين فى الإسلام ، واشتهر كثير من المدن الغانية غير العاصمة ، بكثرة من فيها من المسلمين ، من هذه المدن غيارو Ghiarou ، القريبة من نهر النيجر الأعلى ، يقول البكرى عنها : «وفيها كثير من المسلمين »[3] كذلك مدينة يرسنى الواقعة غربى غياروا «يسكنها المسلمون ، وما حولها ، مشركون » على قول صاحب المغرب[4] .

أما حكومة غانه الإسلامية ، فقد عملت على الاتصال المباشر

---

(١) Trimingham, pp. 13-14. أنظر خريطة انتشار الإسلام .

(٢) تحفة الألباب ص ٤٢ .

(٣) المغرب ص ٧٧

(٤) المغرب ص ٧٧

أنظر كذلك : Bovill, p. 84 ; Davidson, p. 88.

بالخلافة العباسية فى بغداد وأجبرت رعاياها على لبس العمامة[1] ، كما أن ملوك غانه الإسلامية ادعوا أنهم ينتسبون إلى البيت العلوى .

يقول الإدريسى :

« وأهلها — أى أهل غانه — مسلمون ، وملكها فيما يوصف ، من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وهو يخطب لنفسه ، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسى[2] » . وأشار ابن الوردى[3] إلى إسلام ملك غانه الذى عناه الإدريسى فى مقالته .

ويقول المقريزى :

« ومدينة غانه محل سلطان غانه ، ويدعى أنه من نسل الحسن ابن على عليه السلام »[4] .

والنسبة إلى البيت العلوى ، أمر مألوف ومشهور عند كثير من ملوك السودان ، فقد ادعاها ملك مالى وارث غانه[5] كما ادعى ملوك برنو أنهم من سلالة سيف بن ذى يزن[6] ، وكل هذه أساطير إلا أنها تلقى ضوءاً من ناحية أخرى ، على أهمية علاقة الشرق الإسلامى بالأمبراطوريات الإسلامية التى قامت فى غربى أفريقيا .

---

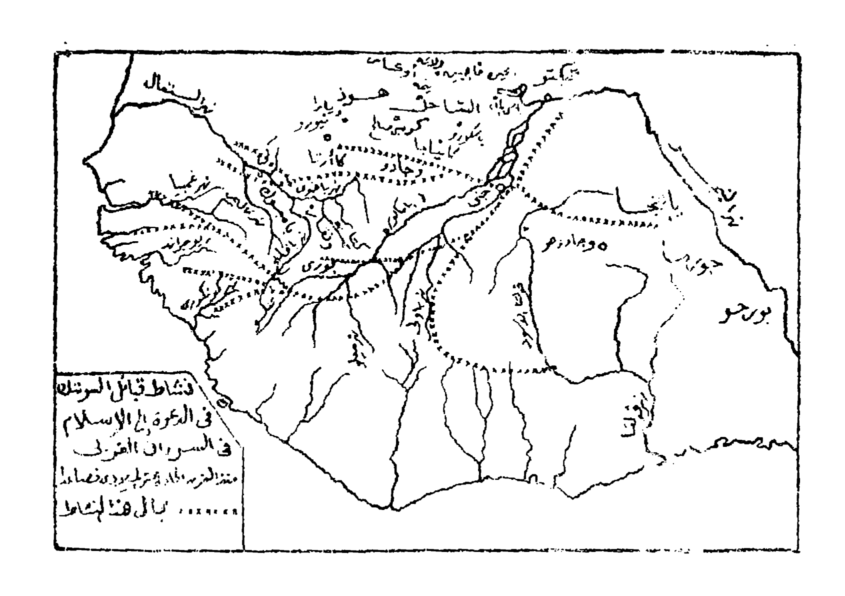
(١) نزهة المشتاق ص ٦ : أنظر كذلك :
De La Roncière, I, p. 85 ; L. Lug., pp. 98-99.

(٢) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠ .

(٣) الإلمام ص ٢٢ .

(٤،٥) أنظر إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ وراجع التعريف ص ٢٧ .

(٦) أنظر إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ وراجع التعريف ص ٢٧
Palmer, The Bornu Sahara, pp. 7-8.


نشاط قبائل السوننكه
في الدعوة إلى الإسلام
في السودان الغربي

الفصل الثالث

نهاية إمبراطورية غانه

العامل الطبيعى فى انهيار غانه — غزو المرابطين وأثره — زوال غانة من مسرح التاريخ السياسى فى غربى أفريقيا على يد الصوصو ١٢٠٣ م - مارى جاطه إمبراطور مالى النامية يحل محل الصوصو ويدمر مابقى من عاصمة غانه ١٢٤٠م .

* * *

اختفت إمبراطورية غانة عن مسرح التاريخ السياسى فى غربى أفريقية فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، غير أن عوامل الانهيار قد بدأت قبل ذلك بأمد طول ، وأولها عامل طبيعى ، بدأ قبل القرن الحادى عشر ، وهو الجفاف التدريجى الذى حل بالمناطق الواقعة شمالى حوض السنغال ، مما حمل الناس على الهجرة والتفرق[1] . وجاء العامل الآخر وكان حاسماً ، وهو الغزو الحربى لبلاد غانة ، وما يعقبه عادة من انفلات زمام السلطة واختلال الأمن فى الداخل وخروج الإمارات أو الممالك الخاضعة لغانة ، وتطلعها إلى السلطة والسيادة .

ويمكن تقسيم الغزو الحربى إلى ثلاثة فصول ، أولها استيلاء المرابطين على غانه قرب نهاية القرن الحادى عشر .

وإن كان غزو المرابطين لم يؤد إلى اختفاء إمبراطورية غانة وإنما أدّى إلى

(١) Spitz, p. 61.

تحول حكومة غانة إلى الإسلام ، كما أن سيادة المرابطين على غانة أو نفوذهم فيها لم يستمر طويلا ، فقد استعاد السوننك استقلالهم عقب وفاة أبى بكر زعيم المرابطين عام ١٠٨٧ م .

والذى اقترن بفتح المرابطين لغانة ، هو اضطراب الأمن وتزعزع الولاء نحو السوننك من قبل الممالك الخاضعة لهم . ثم كان غزو الصوصو فى مطلع القرن الثالث عشر وهو الذى أنهى إمبراطورية غانة ، وأخيراً جاء الفصل الثالث قبيل منتصف القرن الثالث عشر ، وذلك على يد إمبراطورية مالى النامية فى كانجابا ، وكان متمما لحركة الصوصو .

تعرضت غانه لزحف المرابطين ، إذ كانت وثنية وكان ملوكها المعاصرون قد جعلوها هدفاً من أهدافهم القضاء عليها وتعميم العقيدة الإسلامية فى جميع أنحاء بلاد السودان ، بالإضافة إلى مطامع المرابطين فى ذهب السودان وثرواته الأخرى .

بدأ غزو بلاد السودان جنوبى الصحراء الكبرى فى حياة ابن يس (ت ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م) القطب الروحى لحركة المرابطين وإمبراطوريتهم ، واشتد الضغط والإلحاح على غانة زمن إمارة أبى بكر بن عمر اللمتونى (ت ٤٨٠ هـ /١٠٨٧ م[1]) .

فتح المرابطون مدينة أوْدَغَسْت عام ١٠٥٥ م وعاقبوها على خضوعها لامبراطورية غانة واستسلامها لها بدفع الجزية وقبول سيادة السوننك ، فترة من الزمن : وبعد أن فرغ المرابطون من أودغست ، اتجهوا إلى كومبى صالح

(١) راجع ما سبق وانظر
Thompson and Adloff, French West Africa, p. 571.

عاصمة غانة نفسها واقتحموها عام ١٠٧٦ م وأقاموا عليها حاكماً مسلماً[١] .
ومنذ ذلك الوقت صار ملوك غانة مسلمين ، سواء كانوا تابعين للمرابطين حتى عام ١٠٨٧ م ، أم انفصلوا عنهم بعد ذلك العام ، وهو سنة وفاة أبى بكر زعيم المرابطين ، وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسى فى بغداد مباشرة[٢] .

أدى هذا ا[illegible] إلى خروج بعض الممالك الخاضعة للإمبراطورية ، وإعلان استقلالها بحيث لم تعد سلطة ملوك غانة المسلمين نافذة إلا فى مناطق أوكار وباسيكور ، [illegible][٣] .

كانت الصدمة الثانية هى القاضية على الوجود التاريخى لامبراطورية غانة ، أما فتح المرابطين السابق ، فلم يترتب عليه زوال غانة : جاءت هذه الصدمة القاضية على يد قبائل الصوصو الوثنية فى ذلك الوقت Su Su أو Soso أو Sosso ؛ والصوصو فرع من الفولانيين ، هاجر من بلاد تكرور وكوّن طبقة حاكمة فى إقليم كانياجا Kaniaga التابع لإمبراطورية غانة ، وظل حكام الصوصو يدفعون الجزية لحكومة غانة فترة طويلة ، حتى إذا كان فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦ م ، خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن غانة وأخذوا يتوسعون فيما حولهم حتى انهم انتزعوا إقليم ديارا من غانة الإسلامية فى أواخر القرن الثانى عشر[٤] .

---

(١) راجع ما سبق وانظر
L. Lugard, p. 93 ; Davidson, p. 85 ; Hogben, p. 27.

(٢) راجع ما سبق وانظر Bovill, pp. 74, 84-85 ; Gouilly, pp. 50-51.

(٣) راجع ما سبق وانظر : الاستقصا جـ ٢ ص ٢١–٢٢ ؛
Fage, p. 22 ; Davidson, p. 85 ; Spitz, p. 61 ; Hogben, pp. 50-51 ; L. Lug., pp. 99, 110 ; Oliver and Fage, A Short Hist. of Africa, pp. 11-15.

(٤) L. Lug., p. 115 ; Fage, p. 22 ; Le Chatelier, p. 80.

وفى مطلع القرن الثالث عشر ، استولى أعظم أباطرة الصوصو ، وهو سومانجورو Sumanguru على العاصمة كومبى صالح عام ١٢٠٣ م[١] ، وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين ، فتفرقوا فى البلاد ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين من سكان العاصمة الغانية ، هاجر بزعامة رجل اسمه الشيخ اسماعيل ، واتجهوا إلى مدينة ولاته ، حيث أقاموا مركزاً تجارياً لهم وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية فى السودان الغربى[٢] .

وسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجه نحو الجنوب حيث توجد دولة الماندنجو النامية فى كانجابا ، وهى التى اشتهرت باسم إمبراطورية مالى ؛ ويقال إن سومانجورو قتل أولاد الملك — الماندنجى « نارى فامغان Naré Famaghan (حكم من حوالى ١٢١٨ — إلى حوالى ١٢٣٠ م) من أسرة كيتا ، الأحد عشر ، ونجا أصغرهم وهو الثانى عشر المشهور فى التاريخ — باسم « مارى جاطه » أى ولد الأسد[٣] .

على أن نهاية إمبراطورية الصوصو وسومانجورو نفسه ، جاءت على يد مارى جاطه الذى ضم جميع أملاك الصوصو بما فيها أراضى إمبراطورية غانة إلى إمبراطورية الماندنجو ، وذلك بعد واقعة حربية فاصلة عام ١٢٣٥ م .

---

(١) ورد اسم سوما نجورو فى صور مختلفة ، منها : سوما نهورو ، سوما نجورور Sumangurur — Sumanhoro (انظر : Fage, p. 22 ; Le Chatelier, p. 80. L. Lug., p. 115 ; De Pedrals, p. 152 ; Delafosse (Encycl. of Islam), vol. IV, pp. 489-490 ; Traditions, pp. 21-30 ; Talbot, The Peoples of Southern Nigeria, p. 63).

(٢) L. Lug., pp. 165-166 ; Bovill, p. 90 ; Yver, p. 140 ; Baumann, p. 392.

(٣) انظر قيام إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف (مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم) العدد الأول ١٩٧٠ ص ٢٠ وما يليها

وفى عام ١٢٤٠ م نجح مارى جاطه فى تدمير ما بقى من كومبى صالح عاصمة غانة وهى التى أفل نجمها منذ هجرها المسلمون على أثر غزو الصوصو ، وكان تدمير العاصمة فى عام ١٢٤٠ م الفصل الثالث أو الحلقة الأخيرة فى اختفاء إمبراطورية غانة[١] .

ولما كان سندياتا أومارى جاطه مسلما ، فإنه آثر ألا يفاجئ المسلمين الذين كانوا قد جفلوا من كومبى صالح أمام غزو الصوصو من قبل ولجأوا إلى ولاته فتركهم وشأنهم[٢] .

---

(١) أنظر المرجع السابق ص ١٥ وما بعدها وراجع : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ؛ ليو الأفريقى : الكتاب السابع ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ؛ قداح ص ٣١ ، ابن خلدون ج ٥ ص ٢٩٣ ؛ ج ٦ ص ٢٠٠ .

Monteil, pp. 60, 69 70 ; Baumann, p. 392 ; Fage, pp. 24, 28 ; Cooley, p. 69 ; Urvoy, pp. 23-24 ; Shinnie, p. 51 ; Hogben, p. 30 ; Oliver and Fage, pp. 85-86 ; Okafor, p. 28 ; De La Roncière, I, p. 86 ; Spitz, p. 61 ; L. Lug, p. 119 ; Bovill, p. 86 ; Delafosse, Traditions, pp. 20, 30 ; Labouret, Mali, (Encycl. of Islam), vol. III, pp. 203-241.

(٢) قيام إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف ص ٣٠ وما بعدها .

الفصل الرابع

الأحوال العامة فى إمبراطورية غانه

نظم الحكم وتقاليده — وراثة العرش — السلطة الاستبدادية لملوك غانة — الحكم المحلى وتوارثه فى أسر معينة — المسلمون وحكومة غانة الوثنية — مجالس الملك ومواكب ركوبه — الحياة الاقتصادية : صادرات غانة ووارداتها — تجارة الملح — المكوس المفروضة — أرض الذهب وتجارة الذهب — التجارة الصامتة — تجارة الرقيق — البناء الاجتماعى فى امبراطورية غانة — ثراء الملوك وترفهم وقصورهم — التتريب والتصفيق فى التحية الملكية — بعض التقاليد الوثنية : حكم الماء — عادات الدفن — الحياة الروحية والثقافية — العلاقات الخارجية .

* * *

ونظام الحكم فى إمبراطورية غانة ملكى استبدادى ، شأن جميع النظم القائمة فى الامبراطوريات والممالك التى ظهرت فى السودان الغربى والأوسط ، سواء أكانت فى عهدها الوثنى أم فى عهدها الإسلامى

والنظام السائد فى وراثة العرش فى إمبراطورية غانه ، هو توريث ابن الأخت .

يقول البكرى :

« وسنتهم أن المُلك لا يكون إلا فى ابن أخت الملك ، لأنه لا يشك فيه

فى موضع آخر :

« ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره ، وغير ولى عهده ، وهو ابن أخته[٢] » . والمعروف أن الملك السوننكى تنكامنين الذى ولى عرش غانه حوالى عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، كان قد ورث الملك عن خاله بسى Beci [٣] .

وعلل البكرى هذه الظاهرة ، بتوفر اليقين فى أن الوليد هو ابن أمه ، وهذا صحيح ، لكن من المعروف أيضاً ، أن لهذه الظاهرة أصولا ترجع إلى التقاليد الوثنية القديمة ، وهى التى تعلى من شأن المرأة عند أغلب القبائل الأفريقية الوثنية[٤] ، وبرزت عند السوننك ، وهؤلاء ، كما سبق ، فرع من الماندنجو ، والتقليد عام عند الأصول والفروع . كذلك عرفت هذه الظاهرة عند قبائل البربر ولا سيما الطوارق ، وصلة هؤلاء ببلاد السودان ، ترجع إلى أزمنة موغلة فى القدم[٥] .

وقد أضعف الإسلام ظاهرة التوريث لابن الأخت ، وشبيهه ابن البنت ولكنه لم يقض عليها قضاء تاماً فى جميع الامبراطوريات والممالك الإسلامية التى قامت بالسودان الغربى والأوسط ، بدليل بقائها فى بعض الممالك الاسلامية بالسودان الغربى ، وقد شهدها ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر فى مدينة

---

(١) المغرب ص ٧٥ .
(٢) المغرب ص ٧٥ .
(٣) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ٧٤ .
L. Lugard, pp. 95, 99 ; Hogben, p. 28 ; Davidson, pp. 88-90.
(٤) إمبراطورية البرنو الإسلامية للمؤلف ، دول الهوسا الإسلامية للمؤلف .
(٥) راجع السعدى ص ٢٠-٢٢
Baumann, pp. 409-410 ; L. Lug., pp. 113-114.
Palmer, Loc. cit., pp. 7, 55, 81-82.
Fournel, La Tripolitaine, p. 198.

تَـكِدَّه ، فلم تعجبه وعلق عليها بقوله : « وذلك شيء ما رأيته فى الدنيا إلا عند كفار بلاد الملبار من الهنود ، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون[١] » .

وحدث شبيه هذا فى امبراطورية مالى عندما انتقل العرش إلى ابن البنت ، وعلق القلقشندى على ذلك بقوله ، بأن هذا العمل جاء « على قاعدة العجم فى تمليك البنت وابن البنت[٢] » .

والذى حدث فى إمبراطورية غانة فى عهدها الإسلامى ، أى منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى إلى نهايتها فى مطالع القرن الثالث عشر ، أن ظاهرة توريث العرش لابن الأخت قد اختفت وصار الملوك يورثون الحكم لأبنائهم الذكور[٣] .

أما مكانة المرأة ، فلم تنحط بالإسلام ، وإنما نظمت ، وظلت مكانتها الرفيعة كما هى ، بدليل انتساب أعظم سلاطين مالى إلى أمهاتهم مثل منسا كنكن موسى (ت حوالى ١٣٣٧ م) الذى نسب إلى أمه نانا كانجو[٤] ؛ وكذلك الشأن فى امبراطورية البرنو مثل الماى إدريس بن حفصه I. Hafsami (ت ١٣٧٦ م) والماى داود بن فاطمة D. Fatimami (ت حوالى ١٢٨٦ م) . وهكذا[٥] .

* * *

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤٧ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٤ امبراطورية مالى للمؤلف .

(٣) قداح ص ٤٠ .

(٤) امبراطورية مالى للمؤلف وراجع :

Monteil, Les Empires du Mali, pp. 59-60.

(٥) أنظر امبراطورية البرنو الإسلامية للمؤلف ؛ راجع :

Palmer, Loc. cit., pp. 6, 92, 209-210.

وكان ملك غانة ينظر فى جميع شئون الإمبراطورية ، مهما كانت سعته ومقدرته ولياقته ، وقد أورد البكرى خبراً عن الملك بسى الذى أورث عرشه لابن أخته ، مؤداه أنه ولى العرش وهو ابن ٨٥ سنه ، وأن بصره قد كف فى أواخر أيامه لكنه كان يكتم ذلك عن أهل مملكته ويريهم أنه يبصر فتوضع بين يديه أشياء فيقول « هذا حسن وهذا قبيح ، وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس »[١] .

وأما الحكم المحلى ، فكانت الإمبراطورية مقسمة إلى ولايات أو ممالك ، يقول ابن الوردى ، كان لملك غانة « ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده[٢] » وكما كان للعاصمة وال أو حاكم[٣] ، كان لكل من الولايات أو الممالك الخاضعة لغانة ، حاكم أو ملك ، ومن أشهر الولايات ، أوكار وهى نواة إمبراطورية غانة ، وكذلك هوذ ، فى الوسط ، والممالك البربرية فى الشمال ، وديارا وتاكانت[٤] فى الغرب ، وباسيكورو فى الشرق ، وواجاد وكانياجا وبغن[٥] فى الجنوب والجنوب الشرقى .

ومع أن نظام الحكم يقوم على أساس المركزية ، إلا أن بعض المقاطعات أو الولايات ، كان الحكم فيها وراثياً فى أسر معينة ، حتى إذا أحست هذه الولايات أو الممالك الوراثية الخاضعة لغانا ، بضعف فى السلطة المركزية بالعاصمة ، ثارت واستقلت ، كما حدث عند دخول المرابطين عاصمة غانة عام ١٠٧٦ م ،

---

(١) المغرب ص ٧٥ .

(٢) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠ .

(٣) البكرى ص ٧٥ .

(٤) Tagant – الرسم العربى عن الشنقيطى ص ٤٢٨ ويقول : إن معنى هذه الكلمة : الغابة .

(٥) Baghana – الصيغة العربية عن السعدى .

إذ استقلت كل من ديارا وكانياجا وجالام ، ولم يعد نفوذ السوننك باقياً إلا فى أوكار وباسيكورو[١] .

وكبار موظفى الملك ومستشاريه ووزرائه من المسلمين حتى فى العهد الوثنى ، إذ كان المسلمون أكبر طبقة مثقفة ، وينطبق هذا على المسلمين من الوطنيين السوننك ، وعلى من هاجر من العرب والبربر واستقر فى غانة[٢] ، وشجع على ذلك نشاط التجارة وازدهارها وتوفر فرص العمل فى حكومة غانة ، فضلا عن توفر الأمن لمدة تقرب من قرنين ، فقد كان لامبراطورية غانة فرق من الحرس تجوب الصحراء[٣] ؛ ولهذا أكبر الأثر فى نمو المدينة الإسلامية وازدحامها بالصفوة من العلماء والمثقفين ، وقيام المدارس العربية الإسلامية فيها[٤] .

يقول البكرى : « وتراجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه »[٥] .

***

ومن تقاليد الحكم فى إمبراطورية غانه . تلك المجالس التى يعقدها الملك للنظر بنفسه فى المظالم ، سواء أكان ذلك فى العهد الوثنى أم فى العهد الإسلامى ، وواضح فيها الأثر الشرقى ؛ يصف البكرى هيئة جلوس الملك للنظر فى المظالم بقوله :

« وهو — أى ملك غانه الوثنى — يجلس للناس والمظالم فى قبة ، وحوله

---

(١) فداج ص ٢٩ ، ١٠٩ ؛ Bovill, pp. 84-85 ; Fage, p. 22 ; Davidson, p. 85.
أنظر ما يلى وراجع الخريطة

(٢) Bovill, p. 84.

(٣) فداج ص ٤١ ، ١١

(٤) Okafor, p. 27.

(٥) المغرب ص ١٧٥ ؛ راجع ما سبق وانظر : Fage, p. 21 ; Bovill, p. 81.

عشرة أفراس بثياب مذهبة ووراءه عشرة من الغلمان : يحملون الحجف[١] والسيوف المحلاة بالذهب ؛ وعن يمينه أولاد ملوك بلده — أى ملوك الأقاليم والولايات الخاضعة له — قد ضفروا رؤوسهم على الذهب ؛ وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة — أى حاكم أو محافظ العاصمة — بين يدى الملك جالس على الأرض ، وحواليه الوزراء جلوساً . . . رض ، وعلى باب القبة كلاب منسوبة — أى أصيلة — لا تكاد تفارق . . . الملك تحرسه ، فى أعناقها سواجير[٢] الذهب والفضة ، يكون فى الساجو . . . د رمانات ذهب وفضة ، وهم ينذرون بجلوسه بطبل يقال له دبا[٣] . . . هو خشبة طويلة منقورة ، فيجتمع الناس »[٤] .

ويصف الإدريسى هيئة ركوب الملك المسلم للنظر فى المظالم ، فيقول : وهو — أى ملك غانه المسلم — أعدل الناس فيما يحكى عنه ، ومن سيرته ، قربه من الناس وعدله فيهم ، له جملة قواد يركبون إلى قصره كل يوم ، ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه ؛ فإذا اجتمع إليه جميع قواده ، ركب وسار يقدمهم ويمشى فى أزقة المدينة ودائر البلد ، فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له ، فلايزال حاضراً بين يديه حتى يقضى مظلمته ، ثم يرجع إلى قصره ، ويتفرق قواده ، فإذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ، ركب مرة ثانية ،

---

(١) الحجف بفتح الجيم والحاء جمع حجفة وهو الترس المأخوذ من جلود وليس فيه خشب (المختار — القاموس المحيط) .

(٢) الساجور خشبة تجعل فى عنق الكلب ، ويقال كلب مسوجر . (المختار — القاموس المحيط) .

(٣) دبا Deba أو دابا Daba بلغة السوننك ، طبول ولا زالت تعرف بهذا الاسم عندهم (راجع Bovill, p. 81 ; Davidson, p. 85 ; L. Lugard, p. 99.)

(٤) المغرب ص ١٧٥–١٧٦ .

وخرج وحوله أجناده فلا يقدر أحد على قربه ، ولا على الوصول إليه ، وركوبه في كل يوم مرتين سيرة معلومة[١] » .

وقد أشار الإدريسي بهذا الوصف « إلى ملك كان يحكم خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، فقـــد وصف قصره الذي يؤرخ لبنائه بعام ٥١٠هـ/١١١٦ م[٢] .

* * *

ومن ناحية القوة الحربية ، اشتهرت إمبراطورية غانة بقوة جيشها وكثرة تعداده ، يقول ابن الوردي : « ولها — أي غانة — ملك ضخم في جنود وعدد وعُدَد[٣] » ؛ وهو غالباً يتكون من القبيلة أو العشيرة التي تنتمي إليها الأسرة المالكة[٤] ؛ ومع أن خيل غانة ، كما يقول البكري قصيرة ، إلا أن جيشها عرف بقوة فرسانه[٥]

يقول البكري :

إذا احتفل ملك غانة ، ينتهي جيشه إلى مائتي ألف ، منهم رماة أزيد من أربعين ألف ، وخيل غانة قصار جداً[٦] » .

وتسلح هذا الجيش بالأسلحة الحديدية ، مما مكنه من الانتصار على جيران غانة الذين كانوا دونها في التسليح ، وقد لاحظ الزهري قبل عام ١١٥٠ م أن سكان غانة قاموا بحملات حربية ضد جيرانهم ، وانتصروا عليهم بفضل أسلحتهم

---

(١) نزهة المشتاق ص ٧ انظر كذلك : De Pedrals, p. 133.
(٢) المصدر السابق .
(٣) تاريخ ابن الوردي ص ٦٠ .
(٤) قداح ص ٣٧ .
(٥) Bovill, p. 82 ; Davidson, p. 85 ; Spitz, p. 61.
(٦) البكري ص ٧٧ .

الحديدية من السيوف والحراب والرماح والخناجر فضلا عن القوس والنشاب ، وذلك على حين كان أولئك الجيران يحاربون بقضبان من الأبنوس[1] .

* * *

وعن الحياة الاقتصادية فى إمبراطورية غانة ، الثابت أن عظمة غانة التاريخية وشهرتها وثراءها ، إنما ترجع أساساً إلى أرباحها التجارية الطائلة ، يقول ابن الوردى عن غانة وتجارتها :

« وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها متجراً وهم فى سعة من المال ، ويقصدها التجار من ساير البلاد[2] » .

وكان موقع إمبراطورية غانة ، وموقع عاصمتها كومبى ، على حدود الصحراء الجنوبية ، وفى أقصى شمالىّ منطقة الزنوج ، قد جعلها حلقة اتصال بين الشمال والجنوب ، كما أن تحكمها فى طرق القوافل المؤدية إلى مناجم الذهب الكبرى فى جنوبها الغربى ، أفادها وأثراها[3] .

أضحت مدينة كومبى صالح ، أكبر سوق للتجارة فى بلاد السودان ، زمن ازدهار إمبراطورية غانة ، وقد استقر فيها عدد كبير من التجار البيض وتحكموا فى التجارة السودانية ، وأهمها الذهب والرقيق ، وكان من بين التجار عدد كبير من التجار المصريين ، ويقال إن أحد التجار المصريين هو الذى اشترى كتلة الذهب الكبرى التى كان ملوك غانة يحتفظون بها فى قصورهم[4] .

---

(١) Bovill, p. 82 ; Davidson, pp. 84-85 ; Shinnie, p. 47.

(٢) تاريخ ابن الوردى ص ١٥٨ .

(٣) أنظر خريطة طرق القوافل ، وراجع
Bovill, p. 82 ; Okafor, p. 27 ; Fournel, pp. 115-133 ; 168-190.

(٤) Bovill, p. 81.

تاجرت غانة مع جميع المدن الهامة فى شمالى أفريقية مثل طرابلس وأوجيلا وورقلان وسجلماسة ، واعتبرت المدن الثلاث الأخيرة ثغوراً للصحراء الكبرى، وأمدت هذه الثغور بلاد البحر المتوسط بسلع غانة وفى مقدمتها الذهب[١] ، ونشطت القوافل الضخمة من الجمال بانتظام بين غانة وشواطىء البحر المتوسط .

كانت إمبراطورية غانة تصدر الذهب والرقيق والجلود والعاج والكولا والصمغ والعسل ، وكذلك القطن والقمح[٢] . وينسب إلى حكومة غانة الأولى إدخال زراعة القطن وصناعة النسيج فى غانة فضلا عن بعض الحيوانات الأليفة ، منها الثيران ذات الأقتاب ، بل إن إمبراطورية غانة فى فجر نموها قد وصفت بأنها إمبراطورية زراعية إقطاعية[٣] ؛ والدورة الزراعية فى غانة اثنتان ، يقول البكرى ، وهم — أى الغانيون — « يزرعون مرتين فى العام على ثرى النيل[٤] » . كذلك عندهم الأبنوس الجيد ، ورواية صاحب المغرب « عندهم الأبنوس الجزع الجيد[٥] » .

وتستورد غانة : الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة ، ومن بينها التمر ، وكذلك استوردت الودع والمسابح وأدوات الزينة ، وكانت هذه السلع توزع فى جميع أرجاء بلاد السودان . والمعروف أن صناعة المسابح كانت من الصناعات الأساسية فى مدينة سوتا بالمغرب ، نهضت ونشطت من أجل التجارة مع السودان ، وتوجد مصائد للمرجان عند شواطئها[٦] .

---

(١) Fage, p. 20 ; L. Lug., p. 100 ; Hogben, p. 29.

(٢) L. Lug, p. 100 ; Hogben, p. 29.

(٣) Spitz, p. 61.

(٤) المغرب ص ٧٧ .

(٥) المغرب ص ١٧٧ .

(٦) Bovill, p. 82.

على أن أهم ما صدرته غانة هو الذهب والرقيق ، وأهم ما استوردته هو الملح ؛ يقول دافيدسون

« تقع غانة بين مناجم الملح فى الشمال ومناجم الذهب فى الجنوب[1] » ، واشتهرت أودَغَسْتْ بتصدير الملح إلى غانة ، يقول ابن حوقل : « وحاجتهم ـ أى حاجة أهل غانة ـ إلى ملوك أودغست ماسة ، من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لا قوام لهم إلاّ به ، بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين وثلثمائة دينار[2] » كان هذا الملح يستخرج من مناجم تغازه فى الشمال ، ويحمله التجار المغاربة فى طريقهم إلى بلاد السودان[3] . وأهم طوائف التجار التى عملت مع غانة ، تجار سجلماسة . يقول ياقوت :

« وأهل هذه المدينة — أى سجلماسة — من أغنى الناس وأكثرهم مالا ، لأنها على طريق من يريد غانة التى هى معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها[4] » .

وعن الغرناطى :

« يحمل التجار إليهم — أى إلى أهل غانة — حجارة الملح على الجمال ، من الملح المعدنى ، فيخرجون من بلد يقال لها سجلماسة ، آخر بلاد المغرب الأعلى ، فيمشون فى رمال كالبحار ، ويكون معهم الأدلاء ، يهتدون بالنجوم وبالجمال فى القفار ، ويحملون معهم الزاد لستة شهور ، فإذا وصلوا غانة ، باعوا الملح وزناً

---

(١) Davidson, p. 84.

(٢) صورة الأرض ص ٩٨ .

(٣) إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف ؛ راجع : ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٤ ص ٢٧٧ — ٣٧٨

Fage, p. 20 ; Bovill, pp. 141-142 ; De La Roncière, I, pp. 83, 88, 129, 138 ; II, p. 143 ; III, p. 44.

(٤) معجم البلدان جـ ٣ ص ٥٣ ؛ راجع كذلك نشق الأزهار ص ٨ ؛ Bovill, p. 81.

بوزن الذهب ، وربما باعوه وزناً بوزنين أو أكثر ، على قدر كثرة التجار وقلتهم[1] » .

حصلت غانة على ثروة طائلة من الضرائب التى فرضتها على السلع الداخلة إلى بلادها ، والخارجة منها ، وقد أقامت نظاماً دقيقاً للجمارك[2] ، وكان للمسلمين فى غانة خبرة واسعة بالشؤون المالية ، ولذلك استعان بهم ملوك غانة منذ العهد الوثنى ، حتى كان منهم من أشرف على الشئون المالية للحكومة[3] .

قرر ملك غانة ضريبة قدرها ديناران ذهب على كل حمولة حمار من الملح يدخل بلاده ، وديناران عن كل حمولة تخرج من دياره ، وعبارة البكرى :

« وللملكهم على حمار الملح دينار ذهب فى إدخاله البلد ودیناران فى إخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل[4] وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل[5] » .

وكانت مدينة تكدّه الواقعة شرقى النيجر ، مشهورة بإنتاج النحاس من مناجمها ، وصدرته إلى جميع بلاد السودان الغربى والأوسط ، وكذلك كانت تصدره إلى مصر[6] .

* * *

وأما تجارة الذهب ، فهى التى كانت مصدر الربح الكبير لإمبراطورية غانة ، ومع أن غانة لم تسيطر على المنابع الرئيسية للذهب فى منطقة ونقاره ،

---

(١) تحفة الألباب ص ٤١-٤٢ .

(٢) Shinnie, p. 47; Hogben, p. 29.

(٣) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٥ . Davidson, p. 89.

(٤) المثقال يساوى حوالى ثمن أوقية ذهب (Davidson, p. 88)

(٥) المغرب ص ١٧٦ أنظر كذلك : Davidson, p. 88.

(٦) إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ راجع : ابن بطوطة ج ٤ ص ٤٢٣ - ٤٤١ مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

إلا أنها تحكمت فى الطرق المؤدية إليها ، فضلا عن أن بلادها ضمت بعض المناجم ولا سيما مناجم غيارو .

يقول الإدريسى : « وتتصل مملكته — أى مملكة صاحب غانة — بأرض ونقاره ، وهى بلاد التبر المذكورة ، الموصوفة به كثرة وطيبا[1] » ، وفى موضع آخر يقول : « وشرقى غانة ، أرض ونقاره ، أرض التبر ، بينهما ثمانية أيام ، وهى جزيرة كبيرة يحيط بها النيل[2] » والواقع أن هذه المنطقة لا تقع شرقى غانة كما يقول الإدريسى ، بل هى تقع فى جنوبها الغربى ، والمقصود بالنيل هنا السنغال ، وتقع هذه المنطقة بين فروعه العليا باخوى وبافنج وفاليمى[3] .

يقول ماجورد نهام M.D. Denham : « تطلق كلمة ونقاره Ouangara على كل مناطق الذهب ، وعلى جميع القادمين منها » والواقع إن هذا المصطلح أطلق على قبائل الماندنجو ولا سيما على قبيلتى أو فرعى الجولا Jula والسوننك .

وتشمل منطقة ونقاره أربعة أقاليم هى : بامبوك Bambuk الواقعة بين روافد السنغال العليا باخوى وبافنج وفاليمى ، وبور Bure عند أعالى نهر تنكسو Tinkisso رافد النيجر ، ولوبى Lobi عند أعالى نهر فولتا وأشانتى (داخل جمهورية غانة الحديثة) .

والراجح ان كلمة ونقاره كما عناها كتاب العرب ووصفوها بأنها أرض الذهب ، هى بعض هذه الأقاليم وليست كلها[4] .

---

(١) نزهة المشتاق ص ٦—٧ .

(٢) نزهة المشتاق ص ١٤ .

(٣) أنظر خريطة إمبراطورية غانه

(٤) Bovill, pp. 83, 191-192, 194-208 ; Davidson, pp. 78, 81 ; Fage, p. 21 ; p. 49 ; Spitz, p. 61 ; De La Roncière, I, p. 98 ; De Pedrals, p. 132.

ولكثرة ما حصلت عليه غانة من الذهب ، وصفت بأن أرضها كلها ذهب يقول ابن الوردى « وأرضها كلها ذهب ظاهر ، وأهلها يستخرجون الذهب ويصنعونه كاللّبن ، وتسافر إليها التجار من سجلماسة فى مفازه نحو اثنى عشر يوماً »[1] ويقول المسعودى : وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك فيها الذهب ظاهر على الأرض يستخرجه أهله ويعملونه مثل اللبن »[2] ؛ وظفر ملوك غانة بأكبر نصيب من هذه الثروة ، حتى قال ابن حوقل « وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها ، بما لديه من الأموال المدخرة من التبر المثار[3] .

وأوضح البكرى أن هناك أنواعاً من الذهب ، يستصفيها الملك لنفسه ويترك ما دونها لرعاياه ، حتى لا ينحط سعر الذهب أو تضعف قيمته ، وعبارته بصدد الذهب المستخرج من منطقة غيارو :

« وأفضل الذهب فى بلاده[4] ما كان بمدينة غيارو ، وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً ، فى بلاد معمورة بقبائل السودان ، مساكن متصلة ، وإذا وجد فى جميع بلاده الندرة[5] من الذهب ، استصفاها الملك لنفسه وترك منها للناس هذا التبر الدقيق ، ولولا ذلك ، لكثر الذهب بأيدى الناس حتى يهون ، والندرة تكون من أوقية إلى رطل ، ويذكر أن عنده منه ندرة كالحجر الضخم »[6] .

قام ملوك غانة وتجارها ، بدور الوسيط بين منتجى الذهب فى الجنوب وبين

---

(١) تاريخ ابن الوردى ص ١٥٨ .
(٢) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٣٩ أ .
(٣) صورة الأرض ص ٩٨ .
(٤) الضمير عائد على ملك غانه .
(٥) الندرة Nugget هى القطعة الكبيرة .
(٦) المغرب ص ١٧٧ ، أنظر كذلك : Davidson, p. 88 ; Bovill, p. 82.

العرب فى الشمال ، وهؤلاء بدورهم باعوه لأوروبا ، وكانت الأسواق الأفريقية هى المنبع الرئيسى للذهب بالنسبة لأوربا قبل كشف أمريكا .

يقول مونى Mauny :

« كان السودان أعظم مصدر للذهب إلى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، حتى تم كشف أمريكا[١] » . ولقد اعتمدت الدول الأوروبية على الذهب الوارد إليها عن طريق غانة اعتماداً كبيراً [٢] ، كما كان الذهب الواصل إلى مراكش ، عنصراً هاماً فى اقتصاد تلك البلاد خلال العصور الوسطى[٣] .

أما كيف حصلت غانة وتجار غانة وكذلك تجار المغاربة الذين صحبوا تجار غانة ، على الذهب من منتجيه فى أعالى السنغال ، فإن ذلك كان يتم عن طريق ما اصطلح على تسميته بالتجارة الصامتة أو التبادل الصامت » Silent-Trade or Dumb - Barter وبالفرنسية : Commerce Muet .

ويعنى هذا المصطلح التعامل والمساومة أو المبايعة — على قول المسعودى — بين أقوام لا يعرف أحدهم لغة الآخر أو يحرص أحدهم على الاحتفاظ بسر منابع ثروته خوفاً من النهب والسطو ، أو لأن قوماً من السذج يتعاملون مع قوم ، أدت حوادث التعامل معهم إلى انعدام ثقتهم فيهم .

يذهب تجار المغاربة بسلعهم من المسابح والودع والملح وغيرها إلى كومبى صالح ، عاصمة غانة ، وهناك يجدون زملاءهم وعملاءهم الغانيين فى انتظارهم ، يخرج الجميع ، ويسيرون نحو عشرين يوماً إلى أعالى السنغال ، وفى أماكن

---

(١) Davidson, p. 83.

(٢) Shinnie, p. 45.

(٣) Fage, p. 21.

معلومة ، يضرب التجار بطبولهم إعلاناً على وصولهم بالبضائع ، ثم يضعون سلعهم فى أكوام أو مقادير معينة على شاطئ النهر ، ويختفون ، وحينئذ يخرج الزنوج العراه ويضعون بجوار كل كومة أو مقدار من السلع ما يرونه نظيراً لها من الذهب ، ثم يختفون ، فيظهر التجار ، وإذا اقتنعوا بقيمة الذهب حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا بطبولهم إيذاناً بإنتهاء التبادل أو السوق ، وإذا لم يقتنعوا بالذهب الموجود ، لم يقربوه وتركوه واختفوا مرة أخرى ، فيخرج الزنوج ، ويزيدون من كميات الذهب ، وتتكرر عملية الاختفاء والظهور حتى يتم الرضا والاقتناع من الجانبين .

وقد حاول التجار مرة أن يعرفوا شيئاً عن منابع الذهب ، فقبضوا على أحد الزنوج ، وعذبوه حتى مات ولكن دون أن يصرح بشيء ، ومن أجل هذا الحادث ؛ ظل الزنوج الوطنيون يمتنعون من الظهور والتعامل مع أولئك التجار نحو ثلاث سنوات ، حتى اضطروا لاستئناف التعامل بسبب شدة حاجتهم إلى الملح بصفة خاصة .

وقد أورد المسعودى وصفاً للتجارة الصامتة بصدد حديثه عن مملكة غانة قال : « وملكها — أى ملك غانة — عظيم الشأن ويتصل ببلاد معادن الذهب ، وبها منهم أمم عظيمة ولهم خط لا يجاوزه من صدر إليهم ، فإذا وصلوا إلى ذلك الخط ، جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا فيأتوا (كذا) أولئك السودان ومعهم الذهب ، فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون ويأتى أصحاب الأمتعة ، فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا ، فيعود السودان فيزيدونهم حتى تتم المبايعة ، كما يفعل التجار الذين يتبايعون القرنفل من أهله سواء . وربما رجع التجار بعد زوالهم مختفين ، فوضعوا النيران فى الأرض فيسيل الذهب فيسرقه

التجار ثم يهربون لأن الأرض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر ، وربما فطنوا بهم فيخرجون فى آثارهم وإن أدركوهم قتلوهم[1] » .

ثم إن هيرودت (ت حوالى ٤٥٠ ق . م) وصف مثل هذا المنظر فيما كتب عن تجارة القرطاجانيين قديماً فى الذهب ، وفى نفس المنطقة من غربى أفريقية[2] . ويبدو أن هذه الطريقة كانت مألوفة فى كثير من أجزاء أفريقية ؛ وشرح التجار العرب وكذلك تجار البربر من صنهاجه للرحالة كاداموستو (فى القرن الخامس عشر الميلادى) ان هذه التجارة لا زالت هى السائدة كما وصفها رحالة آخرون .

على أن التجارة الصامتة لم تكن من خصائص غربى أفريقيا وحده ؛ لكنها عرفت فى تجارة الحرير كذلك فى القرن الأول الميلادى ، مارسها الرومان والصينيون عند شاطىء أحد أنهار بلاد بارثيا **Parthia** ، كذلك شهـــدها الرحاله الصينى فاهين Fa-Hein فى القرن الخامس الميلادى فى جزيرة سيلان ؛ ويقال إن هذه التجارة كانت أمراً مألوفا فى تجارة الذهب فى الحبشة خلال القرن السادس الميلادى ؛ وفى العصور الحديثة ، لا زالت صور من هذه التجارة تمارس بين أقزام الكونغو ، وربما إلى اليوم[3] .

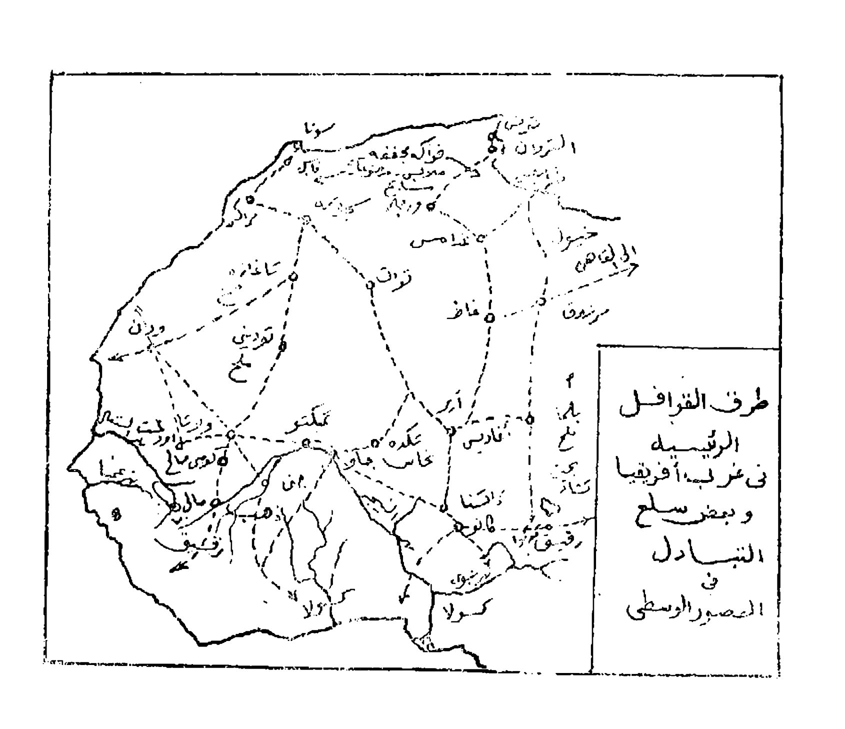
وأما تجارة الرقيق ، فقد راجت كذلك وجنت منها إمبراطورية أرباحاً

---

(١) أخبار الزمان مخطوط (ورقة ٣٨ب ، ٣٩)

(٢) أنظر : Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, pp. 48-58.

(٣) من مراجع التجارة الصامتة : De la Roncière, I, pp. 94-99, Shinnie, pp. 44-46; Bovill, pp. 82-83; Wiedner, pp. 29-30; Fage, pp. 20-21; Kup, A History of Sierra Leone, p. 28; Ward, A History of the Gold Coast, p. 30; Gsell, Hist. ancienne de l'Afrique du Nord, I, pp. 468-469; Hobbey, Early Explorers, p. 7; Opening Africa, p. 4; Ivor Wilks (Univ. Coll. of Ghana), A Medieval Trade Route from the Niger to the Gulf of Guinea (Conference of Lond., 1961); Johnston, A Hist. of the Colonization of Africa by Allien Races, pp. 296-300.


طرق القوافل
الرئيسيه
فى غرب أفريقيا
وبعض سلع
التبادل
فى
العصور الوسطى
تونس
القيروان
غدامس
توات
مرزوق
تمبكتو
تكده
نحاس
ملح
رقيق
كولا

طائلة ؛ وكان فى العاصمة كومبى صالح سوق رائجة لهذه التجارة ، وتمون السوق بالعبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية ، حيث يوجد الزنوج البدائيون ، وعمل أهل السودان الغربى والأوسط فى تجارة الرقيق فى جميع بلاد السودان بين المحيط الأطلسى والبحر الأحمر .

وحصلت غانة على رقيقها بصفة أساسية من القبائل المتوحشة التى عرفت فى الكتب العربية باسم الدمادم Dem Dem أو اللماميين Lem Lem فيقول البكرى :

« مملكة الدمدم غربى غانة يأكلون ما وقع لهم ، ولهم ملك كبير وملوك تحت يده ، وعنده قلعة عظيمة ، عليها صنم امرأة يعبدونها » .

ويقول الإدريسى :

وصوب « بريسى أرض لَمْلَمْ ويغير عليها أهل بريسى وسلى وتكرور وغانة ويسبون أهلها ، ويجلبونهم إلى بلادهم ، فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم ، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار ، وإذا بلغ أحدهم الحكم فى أرض لمم ، وشم وجهه وصدغه بالنار علامة لهم » ، وفى موضع آخر يقول الإدريسى :

« وجنوب غانة أرض الكفار اللملمية » .

ونظراً لحاجة بلاد السودان إلى الملح وأهمية ذلك ، كان العبد يباع أحياناً بكمية من الملح لا تعدو قدر حجم قدمه ؛ فقد أورد الشنقيطى بصدد تجارة بلاده شنقيط — من أعمال السوس الأقصى بالمغرب — فى الملح مع بلاد السودان ، أن تجارة أهل شنقيط كانت رائجة وأن « أعظم ما يتجرون به الملح إلى السودان ، يقال إن العبد كان يباع بحذائه ، أى نعله ، أى أن الملح يقطع على

هيئة اللوح الكبير فيشد بالحبال ويوضع على ظهر الجمل فإذا صار إلى السودان يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل ، فيكون قيمة له . . . » .

وذكر كذلك ، أن هذا كان فى الزمن القديم ، ثم حدث باتساع التجارة وكثرة وصول سلعة الملح إلى بلاد السودان ، أن صار الثمن المألوف للعبد أو الأمة هو حِمل جمل من الملح قال :

« وحِمل الجمل يباع فى عبد أو أمة — وكل ما عند السودان يباع فى الملح كالخيل والثياب والزرع والعبيد ؛ ويقال إنهم كانوا يبيعون أولادهم فيه[1] » .

* * *

قام البناء الاجتماعى فى إمبراطورية غانه على النظام القبلى ، شأن غيرها من الإمبراطوريات والممالك التى قامت بالسودان الغربى والأوسط ، غير أن قيام حكومه مركزية مسيطرة ، ساعد على إضعاف التناحر بين القبائل ، كما أن الإسلام وتعاليمه كانت أكبر عامل فى إضعاف العصبية القبلية وإن لم تمحها ، فبفضل الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، اتصل الغانيون بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة ، وهى الحضارة الإسلامية .

واشتهرت قبيلة السوننك بحماسها للدعوة الإسلامية ونشر فضائلها ، حتى غدا اسمها فى بعض جهات حوض السنغال مرادفاً لكلمة « داعية[2] » .

---

(١) البكرى ص ١٨٣ ، نزهة المشتاق ٣ — ٤ ، ٨ — ٩ ؛ الشنقيطى : الوسيط ص ٤٦٣—٤٦٤ ؛

Johnston, pp. 151-154 ; Cooley, pp. 111-115 ; Bovill, p. 83 ; Hobbey, Opening Afr., pp. 17-18 ; Pruen, The Arab and the African, p. 208 ; Ryder, The Portuguese in West Africa (Conference of Lond., 1961).

(٢) راجع ما سبق وانظر : Trimingham, pp. 13-14.

ولما كانت قبيلة السوننك هى مؤسسة إمبراطورية غانه، وأن الملكية فى بعض عشائرها، امتازت هذه العشيرة عن غيرها من عناصر سكان غانه، فكان منها أغلب جيش الإمبراطورية وكثير من كبار أعوان الملك.

أما أعمال الناس فى إمبراطورية غانة؛ فتنوعت بين الزراعة والصناعة وممارسة بعض الحرف الأخرى؛ فيما يشبه التخصص؛ فمثلا اشتهرت عشيرة كوروما Koroma بالعمل فى صناعة الحديد، فاشتهرت هى وغيرها ممن عمل فى هذه الصناعة باسم «قبيلة الحدادين[1]» والمعروف أن صناعة الحديد قديمة فى غربى أفريقية ولا سيما غانة[2]؛ كذلك اشتهرت بعض القبائل بممارسة الزراعة عملاً أساسياً لها، كما اشتهر غيرها بالحياكة وأخرى بالرعى والصيد وهكذا[3].

وهناك طبقة التجار، وهى طبقة ممتازة، وتضم كثيراً من المسلمين الوطنيين فضلا عن العرب والبربر الذين استقروا فى كومبى صالح وغيرها من المدن التجارية الهامة مثل ولاته[4].

* * *

ونظراً لشهرة غانة بثرائها، تمتع ملوكها بالنصيب الأوفى من هذا الثراء فضلا عن الترف والسعة، وكانت مصالح الملوك وذويهم هى المفضلة دائماً، وهذه ظاهرة عامة فى جميع الإمبراطوريات التى قامت بالسودان الغربى والأوسط فالعامل المشترك بينها جميعاً، هو استغلال الرعايا لصالح الحاكمين المستبدين.

---

(١) قداح ص ٣٦-٤٢.

(٢) Davidson, pp. 70-74; Shinnie, p. 45.

(٣) راجع ما سبق وانظر: المغرب ص ٧٧. Spitz, p. 61.

(٤) Bovill, p. 90.

كان ملك غانة يستصفى الجيد من الذهب لنفسه[1]، بل كان لبعض ملوكها المسلمين قطعة ذهب ضخمة فى قصورهم استخدموها مربطاً لخيولهم ؛ واختلف فى وزنها ما بين ثلاثين رطلا وطن ، كما اقترن بها كثير من الأساطير ، واشتهرت وعرفت فى معظم أنحاء العالم[2] .

وعبارة ابن الوردى : « وفى قصر – أى ملك غانة – تبرة واحدة من الذهب كالصخرة العظيمة ، وفيها ثقب كالمربط ، وهو مربط فرس الملك[3] » .

ويقول الإدريسى . . « والذى يعلمه أهل المغـــــرب الأقصى علماً يقيناً لا اختلاف فيه ، أن له فى قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة ، خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك فى نار أو تطرق بآلة ، وقد نقر فيها ثقب ، وهى مربط الفرس الملك ؛ وهى من الأشياء المغربة التى ليست عند غيره ولا صحت لأحد إلاَّ له . وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان[4] » .

وقد تصرف بعض ملوك غانه المسرفين فى هذه القطعة ، فيقال إن بعض التجار المصريين اشتروا هذه القطعة ، ويقال كذلك إن وزنها يبلغ طن[5] .

ووصف الإدريسى قصر ملك غانة الذى بناه عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م . وما به من زخارف فقال : « وله قصر على ضفة النيل[6] ؛ قد أوثق بنيانه

---

(١) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ٧٧ ؛ Davidson, p. 88.

(٢) Bovill, p. 81.

(٣) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠ .

(٤) نزهة المشتاق ص ٧ ، أنظر كذلك : Shinnie, p. 47.

(٥) عثر حوالى عام ١٩٠٠ م على قطعة ذهب تشبه هذه القطعة فى بامبوك إحدى مناطق الإقليم المشهور باسم «ونقاره» أو أرض الذهب ، كما وصفه الكتاب العرب . وهذه المنطقة تابعة الآن لجمهورية مالى ، وتقع بين رافدى السنغال : بافنج وفاليمى . (راجع Bovill, p. 81.)

(٦) المقصود بالنيل نهر النيجر (راجع : De La Roncière, I, pp. 85, 90.)

وأحكم إتقانه ، وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج[1] » . ويقال إن طراز هذا القصر وما به من زخارف ونقوش وألوان وتحف قد استوردت من مصر وسوتا وصقلية[2] .

ونظام تحية الملك هو المألوف عند غيره من ملوك السودان الغربى ، وهو نظام التتريب وهى ظاهرة من العهد الوثنى ، وتقضى بأن يضع القادم على الملك التراب على رأسه ، غير أن المسلمين فى غانة لم يمارسوها ، فكانت تحيتهم لملوك غانة الوثنيين بالتصفيق باليدين .

يقول البكرى : « فإذا دنا أهل دينه — أى دين الملك الغانى الوثنى — منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له . . وأما المسلمون ، فإنما سلامهم عليه يكون تصفيقاً باليدين[3] » .

وعرفت هذه الظاهرة عند ملوك مالى المسلمين كذلك ، وشهدها ابن بطوطة فى مالى ولم تعجبه[4] .

* * *

وجرت العادة أن يتزيا ملوك غانا وولاة عهود بزى خاص يميزهم عن سائر الرعايا فضلا عن أنواع الحلى التى يتزين بها .

يقول البكرى : « ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولى عهده[5] ، وفى موضع آخر يذكر البكرى : « وملكهم يتحلى بحلى النساء

(١) نزهة المشتاق ص ٦

(٢) De La Roncière, I, p. 85.

(٣) المغرب ص ٧٦ .

(٤) إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف راجع : ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٩

(٥) المغرب ص ١٧٥ .

فى العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة ، عليها عمائم القطن الرفيعة[1] » . وعن الإدريسى فيما يلبسه ملوك غانة « إزار حرير يتوشح به أو بردة يلتف بها وسراويل فى وسطه ونعل شركى فى قدمه ـ وله حلية حسنه وزى كامل يقدمه أمامه فى أعياده ...[2] » .

أما زى سائر أهل غانة ، فهو كما يقول البكرى : « ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم[3] » . ويقول الإدريسى : « ولباس أهل غانة الأزر والفوط والأكسية[4] » .

إلا أن الملك يتفق مع رعاياه ، فى مظهر واحد وهو حلق الشعر ، يقول البكرى : « وهم أجمع يحلقون لحاهم ، ونساؤهم يحلقن رؤوسهن[5] » .

* * *

ومن التقاليد التى سادت فى غانة الوثنية وإن شابتها الأخبار الأسطورية ، اختلاط الملك برعاياه وسمره معهم ، يذكر صاحب الفتاش عن ملك غانة الوثنى، وأسند هذا إلى كيمع أى ملك الذهب ، أنه كان « يخرج بعد عشاء كل ليلة يسمر مع قومه ، ولا يخرج حتى يجتمع عليه ألف حزمة ـ أى حزمة حطب ـ ويجمعونها فى باب دار مملكته ، ويوقد تحته نار ، ويشتعل مرة واحدة ، ويضيء له ما بين السماء والأرض ، ويشرق البلد كله ، ثم يأتى ويجلس على منصة الذهب الأحمر ، ويأمر بعشرة آلاف من الموائد ويأكلون ، وهو لا يأكل ،

---

(١) المغرب ص ١٧٥ .
(٢) نزهة المشتاق ص ١٤ .
(٣) المغرب ص ١٧٥ .
(٤) نزهة المشتاق ص ١٤ .
(٥) المغرب ص ١٧٥ .

فمتى تم الأكل ، يقوم ويدخل ولا يقومون حتى تصير الحزامات رماداً ، ثم يقومون ، وهذا على الدوام[(١)] » .

وهناك ما عرف باسم « حكم الماء » ، وهو نوع من نظم القضاء أو التحكيم فى العهد الوثنى ؛ شرح البكرى هذا التقليد بقوله :

« وببلاد غانة حكم الماء : إذا اتهم أحد بسرقة أو قتل أو غير ذلك ، عمد أمينهم إلى عود فيه حرافة ومرارة ورقة ، وصبّ عليه من الماء قدراً ما ، وسقاه المتهم ، فإن رماه من جوفه علم أنه برىء وهنىء بذلك ، وإن لم يرمه وبقى فى جوفه ، صحت الدعوى عليه[(٢)] » .

ومن عادات الدّفن فى العهد الوثنى ، دفن الملك ومعه خدمه والمقربون إليه من خدمه ، فضلا عن طعامه وشرابه وحليه ؛ وأفاض البكرى فى وصف هذا التقليد ، بقوله :

« وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير - أى الأصنام - إذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها فى موضع قبره ، ثم أتوا به على سرير قليل الفرش والوطاء فأدخلوه فى تلك القبة ، ووضعوا معه حليّه وسلاحه وآنيته التى كان يأكل فيها ويشرب ، فأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة ، وأدخلوا معه رجالاً ممن كانوا يخدمون طعامه وشرابه وأغلقوا عليه باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والأمتعة ، ثم اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتى تأتى كالجبل الضخم ، ثم يخندقون حولها حتى لا يوصل إلى ذلك الكوم إلا من موضع واحد ، وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمور[(٣)] » .

---

(١) الفتاش ص ٤٢ .

(٢) المغرب ص ١٧٩ .

(٣) المغرب ص ١٧٦ ؛ أنظر كذلك : Hogben, pp. 28-29 ; Bovill, p. 82.

ويبدو وضوح الأثر الشرقى القديم فى هذا التقليد ، فقد وجد عند ملوك السومريين القدماء[1] كما وجدت صور منه عند الفراعنة ، كذلك وجد هذا التقليد عند ملوك كاتسنا Katsina من دول الهوسا وذلك قبل اعتناقهم الإسلام[2] .

غير أنه عندما صارت الحكومة الغانية إسلامية منذ نهاية القرن الحادى عشر . اختفى هذا التقليد وحلت التقاليد الإسلامية . وعثر على شواهد لقبور عليها بعض آيات القرآن الكريم . فضلا عن دعوات لصاحب القبر . وذلك باللغة العربية[3] .

* * *

ومن ناحية الأحوال الصحية فى إمبراطورية غانة . فهذه لم تكن ملائمة لسكنى الأجانب الذين لم يتعودوا عليها ، وهذا أمر واضح بسبب عدم ملاءمة المناخ فى تلك البلاد لغير أهلها ، ولعدم وضوح واجب الحكومة فى العناية بالصحة العامة ، وكان البكرى صادقاً حين قال :

« وغانة بلد مستوبية ـ أى موبوءة ـ غير آهلة ، لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض عند امتلاء زروعهم ، ويقع الموتان فى غربائها عند استحصاد الزرع[4] » .

* * *

وعن الحياة الروحية والثقافية ، برزت الآثار العربية الإسلامية ، وأوضح

---

(١) أنظر : برستد : انتصار الحضارة (ترجمة أحمد فخرى) ص ١٦٨ .

(٢) دول الهوسا الإسلامية للمؤلف ؛ راجع Hogben, p. 29.

(٣) راجع ما سبق وانظر آثار كومبى صالح .

(٤) المغرب ص ١٧٧ .

ما كانت فى العاصمة كومبى صالح والمدن الزاهرة الكبرى أمثال ولاته ونيمه وأَوْدَغَسْت .

وقد ضمت غانة منذ فجر تاريخها ، وحتى قبل أن تتحول حكومتها إلى الإسلام ، نحو اثنى عشر مسجداً ألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية ، كما أن القسم الإسلامى من العاصمة كان مليئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة[1] ، وكذلك كانت ولاته ونيمه وأودغست ، فقد كانت هذه المدن مراكز ثقافية عربية إسلامية كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية .

كانت اللغة العربية هى لغة العبادة والثقافة الوحيدة فى البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة فى التبادل التجارى والمكاتبات ، واحتلت هذه اللغة فى غانة وفى غيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط المكانة التى احتلتها اللغة اللاتينية فى أوربا فى العصور الوسطى ، بل زادت عليها إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى فى العهد الاستعمارى ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوربا فى العصور الوسطى ، أكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستعمرين فى مطلع العصور الحديثة بأن إلمام سكان غربى أفريقيا باللغة العربية ، يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينية فى العصر الوسيط[2] .

أقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية فى حماس تلقائى ، بسبب ما اتصف به انتشار الإســلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما امتاز به

---

(١) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٤–١٧٥ .

(٢) أنظر الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٣١ وما بعدها وراجع : قداح ص ١٣٩،٤١ ، ١٤١–١٤٢،١٤٩ ؛ Blyden, Loc. cit., pp. 14-15, 202-203, 215.

المسلمون العرب والبربر الذين استقروا فى غانة وغيرها من بلاد السودان ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة فى شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلا عن الجانب الثقافى ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية بدليل استعانة ملوك غانة الوثنيين بهم فى أجل أعمالهم[1] .

* * *

ومن ناحية العلاقات الخارجية أبرزها العلاقات التجارية والثقافية ، وهى العلاقات التى ربطت غانة ببلاد البحر المتوسط ، فقد كان ذهب غانة ووارثتها مالى عنصراً أساسياً فى اقتصاديات شمالى أفريقية بصفة خاصة ، وكذلك بالنسبة لأوربا ، وعلى الأقل قبل كشف أمريكا[2] .

ومن البيوت التجارية التى ساهمت فى تنشيط هذه العلاقة ، على نحو منظم ، شركة المقرى جدّ الكاتب المعروف أحمد بن محمد المقّرى المتوفى عام ١٦٣٢ م ، وهو صاحب كتاب نفح الطيب ، ويحتمل أن هذه الأسرة بدأت أعمالها التجارية منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، أى قبل نهاية إمبراطورية غانة بما يقرب من قرن ، وكان لها ممثلون فى مدينة ولاتا الخاضعة لغانا ، وقد شهد هؤلاء المقيمون فى ولاته نهاية إمبراطورية غانة على يد الصوصو عام ١٢٠٣ م كما شهدوا هجرة العلماء والتجار المسلمين من كومبى صالح إلى ولاته ، بعد دخول الصوصو[3]

وظهرت غانة فى الخرائط التى صدرت بأوربا فى العصور الوسطى عن

---

(١) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٥

(٢) راجع ما سبق .

(٣) إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف ، راجع :
Bovill, pp. 98-99; L. Lug., pp. 101-103 De La Roncière, I, p. 88.

مدرسة ميورقة ، فى الخريطة القطالونية أو الأطلس القطالونى لإبراهام كرسك A. Cresques (١٣٧٥) ، ظهرت مدينة نيمه Nayma باعتبارها المركز الرئيسى لإمبراطورية غانة Guynoa كذلك ظهر اسم غانة Gheneoa على خريطة فلادست M. de Villadestes (١٤١٣) ؛ وأشارت هـذه الخريطة أيضاً إلى أمـــــير المرابطين باسم Rex Bubeder والمقصود به الأمير أبو بكر الذى فتح غانة ١٠٧٦ ، ومد ملك المرابطين إلى حدود الصحراء الجنوبية(١) .

وازدادت علاقات غانه مع بلاد العالم الإسلامى الشرقى فى عهد الحكومة الإسلامية التى قامت فى غانة منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى، ولا سيما بعد أن اتصل ملوك غانة المسلمون بالخلافة العباسية وربطوا أنفسهم بها ، وقاموا فى بلادهم كممثلين للخليفة العباسى، بل ادعوا النسب العلوى(٢) فانتشرت التقاليد الشرقية فى غانة ومنها لبس العمامة ، كما أن صلة مصر لم تنقطع بغانة وغيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط ، فإن مصر تقع على طريق الحاج . وظلت أهمية مصر قائمة بالنسبة لبلاد غربى أفريقية ، رغم اضطراب أحوال الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الحادى عشر بسبب الصراع الداخلى فى مصر أواخر العصر الفاطمى ، ثم حلول الخطر الصليبى الاستعمارى ببلاد الشرق الأوسط منذ عام ١٠٩٩ م ، ومحاولة قادة المسلمين توحيد الجبهة الإسلامية للجهاد ضد العدو المشترك وهى المحاولة التى بلغت ذروة النجاح فى عصر صلاح الدين المتوفى عام ١١٩٣م ، أى قرب نهاية امبراطورية غانة الإسلامية .

---

(١) راجع Palmer, Loc. cit., De La Roncière, I, pp. 129-136; pp. 205-206.

(٢) نزهة المشتاق ص ٦ ؛ L. Lug., pp. 98-99.

وحتى بعد سقوط غانة ظل حجاجها يمرون بالقاهرة ، وقد شاهد ابن خلدون بعض حجاج كوهبى صالح فى القاهرة عام ١٣٩٠م وهم فى طريقهم إلى الحج .

***

أما الجيران الأفريقيون الأقربون إلى غانة ، فكانت علاقتهم بها أقرب إلى الصراع المستمر منها إلى الهدوء والمسالمة . ولا سيما تلك الممالك التى خضعت لغانة وكانت تدفع لها الجزية ، لكنها تتحين الفرصة للخروج عليها؛ فمن جيران غانة الغربيين ، مملكة التكرور وهذه استطاعت أن تحتفظ باستقلالها وقوتها ضد توسع جارتها الشرقية القوية ، وكانت مملكة تكرور أسبق من غانة فى اعتناق الإسلام وازدهرت فى القرن الحادى عشر إلى أن طوتها إمبراطورية مالى ومن بعدها صنغى[1] . وهناك مملكة سلى الإسلامية التى استطاعت أن تحتفظ باستقلالها أيضا ، أما مملكة ... فى الجنوب الشرقى من غانة ، وملوكها من الفولانيين ، وأغلب سكانها من البربر والفولانيين ، فهذه كذلك لم تخضع لغانة ؛ وكانت علاقتها بمملكة أودغست البربرية ودية ، وكثيراً ما استعانت بها ضد جيرانها السود .

وفى جنوبى غانة ، تقع مملكة الصوصو فى كانياغا ، وهذه خضعت لغانة ودفعت لها الجزية لكنها لم تخلص لها إذ كان الصوصو حينئذ على الوثنية بينما

---

(١) ظهر التكارورة مرة أخرى فى تاريخ غربى أفريقيا ، وقاموا بدور كبير فى حركة الجهاد الإسلامى والكفاح الوطنى زمن الحاج عمر وابنه أحمد وفى القرن التاسع عشر الميلادى ، وكان لهم إمبراطورية كبرى أزالها الاستعمار الفرنسى (امبراطورية التكارورة للمؤلف ؛ راجع تاريخ ابن الوردى ص ١٥٢ ، البكرى ص ١٧٢ ؛
Cooley, pp. 97-98 ; Fage, pp. 146-147 ; L. Lug., p. 115 ; Urvoy, p. 31 ; Trimingham, Loc. cit., p. 13 ; Le Chatelier, p. 80 ; Delafosse, Takrur (Encycl. of Islam), vol. IV, p. 633.

ومن أقوى ممالك البربر المجاورة لغانة من ناحية الشمال، مملكة أوْدَغست حيث تسود قبائل لمتونة القوية ، ومع أن غانة استولت على أودغست حوالى عام ٩٩٠م ، إلا أنها استعادت استقلالها بعد صراع طويل[٢] .

(١) راجع نهاية غانه .

(٢) Shinnie, pp. 49-50.

خاتمة

الجمهوريات الحديثة التى قامت على أنقاض امبراطورية غانة : مالى - موريتانيا -
لم اتخذت جمهورية غانة الحديثة اسم الإمبراطورية التاريخية العريقة ؟

* * *

جاءت نهاية إمبراطورية غانة الإسلامية ، خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد اختفت هذه الإمبراطورية الأفريقية عن مسرح التاريخ السياسى فى غربى أفريقية منذ ذلك الوقت .

ويقوم اليوم ، فى المساحات التى كانت تشغلها إمبراطورية غانة ، جمهوريتان إفريقيتان وطنيتان حديثتا عهد بالاستقلال ، هما : جمهورية مالى ، وجمهورية موريتانيا .

فأما جمهورية مالى، فهى بعض إمبراطورية مالى التاريخية، وهى الإمبراطورية التى ورثت إمبراطوريات غانة منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى واستوعبت جميع أملاك إمبراطوريات غانة وزادت عليها .

وتشغل جمهورية مالى الحديثة معظم الأراضى التى كانت تحت حكم غانة ، وكذلك تضم كثيراً من المساحات التى كانت تابعة لإمبراطورية صنغى وارثة مالى السابقة ، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية اليوم نحو ٤٩٥ ألف ميل مربع ، وهذه تقدر بنحو خمسة أمثال مساحة بريطانيا ، وسكانها نحو ٤٫٩ مليون نسمة، منهم نحو ٧٤٠٠ أجنبى أغلبهم من الفرنسيين ؛ ومن بين هؤلاء السكان حوالى

٣ مليون من الزراع المستقرين ولا سيما من قبائل البامبارا والماركا والصنغى والمالنك والدوجون والمينانكا والسنوفو ؛ ومن الرعاة كثير من الفولانيين والطوارق .

وتعتمد ثروتها الطبيعية على الزراعة والرعى ؛ وأهم محاصيلها الأرز والفول السودانى والقطن ، بجانب الماشية والجلود ، ويهاجر كثير من سكانها للعمل فى مزارع السنغال وغمبيا وغينية وساحل العاج ، ويوجد بتربتها معادن الذهب والملح والحديد ، وكانت تجارة الذهب والملح أهم مصادر ثروة إمبراطورية غانة وكذلك ثروة وارثتها إمبراطورية مالى التاريخية .

بدأ الاستعمار الفرنسى لهذه المنطقة منذ عام ١٦٥٩ م وتوالت بعثات الكشف والاستعمار بحثاً عن الذهب والصمغ خلال السنوات : ١٧٣٠-١٧٣١ ، ١٧٥٦ ، ١٨٢٤ ، ووصل الفرنسيون إلى مدينة سيجو على النيجر عام ١٨٦٦ . وأضحت هذه البلاد مستعمرة فرنسية فى الفترة ما بين ١٨٩٢ ، ١٩٠٤ وعرفت باسم « السودان الفرنسى » .

استقلت عام ١٩٦٠ وأخذت اسم « مالى » إحياء للاسم القديم والمجد القديم ، وأول رئيس لها هو موديبو كيتا ، انتخب رئيساً لجمهورية مالى بالإجماع فى يناير ١٩٦١ ، وكان من قبل رئيساً لاتحاد مالى المكون من مالى والسنغال، وموديبو كيتا سليل الأسرة الإمبراطورية فى مالى القديمة ، وخلفه فى الرئاسة موسى تراورى (١٩٦٨)، والعاصمة باماكو على النيجر .

***

وأما جمهورية موريتانيا الحديثة فتوصف بأنها همزة الوصل بين بلاد السودان وشمالى أفريقية ولا سيما مراكش ، وسكانها خليط من العرب والبربر

والزنوج ، ولكن الدماء العربية تغلب عليهم ، حتى أنهم يسمون أنفسهم بالبيض أو البيضان ، بينما يطلق الفرنسيون عليهم اسم « المور » Maures . وألوانهم فاتحة وشعورهم سوداء مموجة وقامتهم متوسطة ، واللغة العربية هي اللغة الرسمية في موريتانيا الحديثة .

على أن موريتانيا الحديثة لا تنطبق على ما كان معروفاً بهذا الاسم زمن السيادة الرومانية في شمالي أفريقية ، وهو موريتانيا الطنجية Tingitana Mauretania ، لأن موريتانيا الرومانية لم تكن سوى ولاية أو إقليم لا تتعدى حدودها الجنوبية نهر درعة .

وتضم جمهورية موريتانيا الحديثة معظم الجزء الشمالي الغربي من إمبراطورية غانة القديمة بما فيها المدن الهامة : العاصمة كومبي صالح وولاته ونيمه وأودغست وغيرها ، وهذه لم تعد سوى قرى أو أطلال في العصر الحاضر .

بدأ أول اتصال أوربي استعماري بهذه المنطقة في الخامس عشر الميلادي على يد البرتغاليين الذين أقاموا حصناً في جزيرة أرجوين Arguin على الساحل، ثم استولى الهولنديون على هذه الجزيرة ومن بعدهم الإنجليز ، ولما اشتد الصراع الاستعماري الأوربي ولا سيما بين فرنسا وانجلترا انسحب الإنجليز عام ١٨٥٧ نظير انسحاب فرنسا من غمبيا والبريدا Albreda .

أضحت موريتانيا مستعمرة فرنسية عام ١٩٢٠ م ، ومساحتها حوالى ٤١٩٫٣٩٠ ميلا مربعا ، وتقدر هذه المساحة بنحو ضعف مساحة فرنسا ، وسكانها حسب إحصاء (١٩٥٧) نحو ٦٢٣٫٦٠٠ نسمة ، يضاف إليهم نحو ١٦٠٠ من الأجانب أغلبهم من الفرنسيين ، ويتركز أغلب سكانها في الأجزاء الجنوبية منها أى جنوبي خط عرض ١٨½ شمالا تقريبا .

صارت جمهورية ذات حكم ذاتى عام ١٩٥٨ ؛ وتولى مختار ولد داده رئاسة مجلس حكومتها فى ٢٦ يولية ١٩٥٨ ثم رئيساً لجمهورية موريتانيا فى ٢٦ يونيه عام ١٩٥٩ ثم استقلت عن فرنسا عام ١٩٦٠م والعاصمة نواكشوت Nouakchott على الساحل ، وليس لها سوى ميناء واحد هو بورت ايتين P. Etienne ، على حدود ريودو أورو وهى المستعمرة الأسبانية فى غربى أفريقيا ورئيس جمهورية موريتانيا الحالى (١٩٧٠) مختار ولد داده ، أول رئيس لها .

وأهم موارد ثروتها الصمغ العربى ، والماشية والأسماك المجففة ، ولكن تجارة الصمغ العربى قد ضعفت بسبب منافسة صمغ السودان ، واكتشف حديثاً فى موريتانيا مناجم للحديد الخام والنحاس .

***

أما لماذا اتخذت جمهورية غانة الحديثة اسم امبراطورية غانة ؟

فالراجح أن جمهورية غانة الحديثة استعارت هذا الاسم التاريخى الأفريقى العريق من باب التيمن باسم عريق لأول إمبراطورية قومية أفريقية قامت بالسودان الغربى ، أقامها شعب أفريقى وطنى هو قبائل السوننك ؛ اتخذت غانة الحديثة هذا الاسم ، من أجل التفاؤل بعودة المجد القومى الأفريقى السابق .

ومع أن أراضى إمبراطورية غانة القديمة تبعد عن حدود جمهورية غانة الحديثة بنحو ألف ميل ، إلا أن هنالك احتمالاً ، بأن حدود إمبراطورية غانة السابقة قد وصلت إلى المشارف الشمالية لحدود جمهورية غانة الحديثة ، مما يفسر حرص جمهورية غانة على هذا الإسم ؛ وربما رأت جمهورية غانة الحديثة أنها أول مستعمرة إنجليزية ظفرت بالاستقلال فى غربى أفريقية فى ٦ مارس ١٩٥٧ م ، فهى من أجل ذلك أجدر بأن تحمل اسم أول إمبراطورية أفريقية قامت فى غربى أفريقية .

ومن الاحتمالات كذلك ، فى تعليل اتخاذ جمهورية غانة اسمها ، ما تواتر من أن أسلاف قبائل الآكان Akan أغلب سكان جمهورية غانة الحالية ، كانوا يقيمون عند الحدود الجنوبية لإمبراطورية غانة القديمة ، وأنهم هاجروا من تلك المناطق إلى أراضى جمهورية غانة (ساحل الذهب سابقاً)[1] فى الفترة ما بين القرن الثالث عشر الميلادى والسابع عشر ، أى منذ تدهور إمبراطورية غانة السابقة على يد الصوصو فى مطلع القرن الثالث عشر . بل يقال إن هجرة الآكان نحو الجنوب بدأت منذ فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦م . ومن فروع الآكان قبائل أطلقت على نفسها اسم الأشانتى Ashanti, عندما انفصلت عن أشقائها واخترقت الغابات الاستوائية ، منذ القرن الخامس عشر الميلادى ؛ ولهذه الصلة القديمة جانب فى تفسير اسم جمهورية غانة الحديثة[2] .

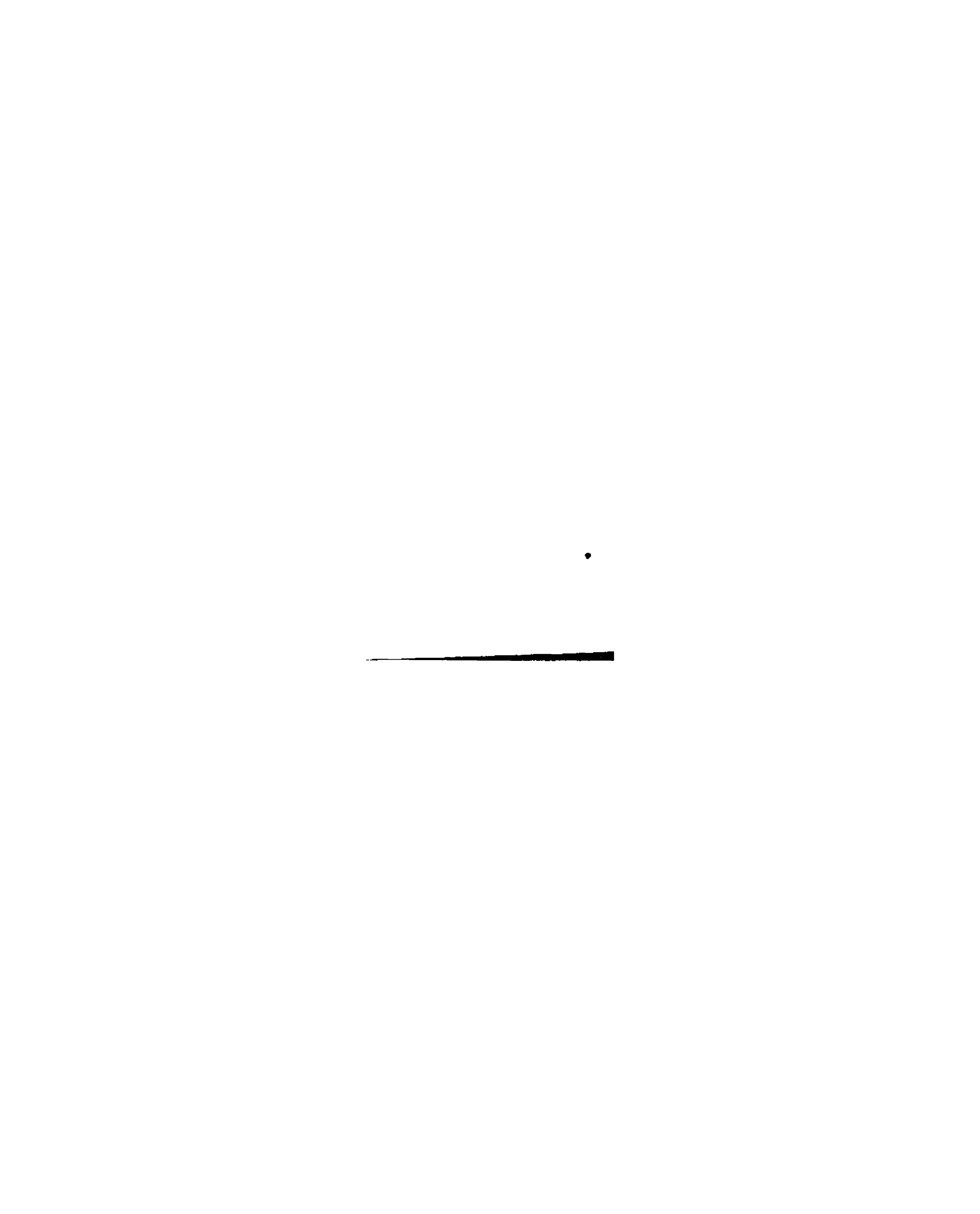
---

(١) كان الهولنديون هم الذين أطلقوا اسم ساحل الذهب على هذه المنطقة فى القرن السابع عشر الميلادى ، بسبب نشاط تجارة الرقيق على هذا الساحل وما تدره هذه التجارة من ثروة .

(٢) Johnston, pp. 301-315 ; Church, pp. 227-229, 237, 245, 360-363 Wiedner, p. 42 ; Bourret, Ghana, pp. VII-VIII, 1-2 ; Kup, p. 62 ; Dike p. 1 ; Ward, pp. 46-47 ; Fage, pp. 70-71, 75 ; Talbot, p. 62 ; Thompson and Adloff, p. 238 ; Kitchen (Edit.), The Modern African, pp. 326-346 ; Reindore, Hist. of the Gold Coast and Asante, pp. 1, 11, 14 Apter, D.E., The Gold Coast in Transition (Princeton, 1955), pp. 22-26.

أنظر كذلك :

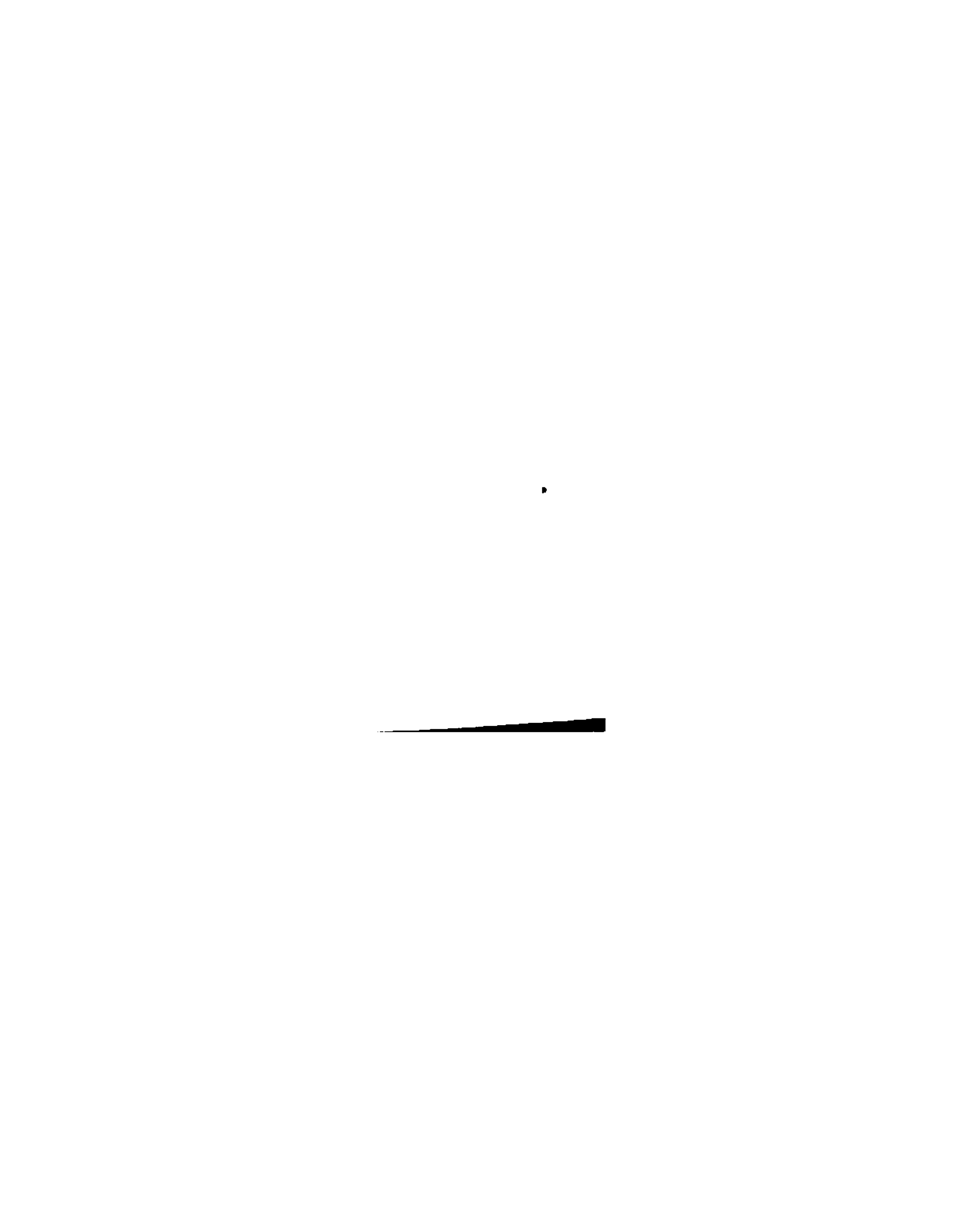
Hance, The Geography of Modern Africa (New York, 1965) ; Meyerowitz, The Akan of Ghana, their Ancient Belief (Lond., 1958) : Fage, Ghana, A Historical Interpretation (Madison, 1959).



مراجع البحث

ا ــ المراجع العربية

ب ــ المراجع الأجنبية



المراجع العربية :

ابن أبي زرع — (على بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ت ١٣٢٦م)
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب
(نشر وترجمة تورينبرج Torenberg).

ابن الخطيب — (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب الملقب بلسان الدين ابن الخطيب ت ٧٦٦هـ/١٣٦٤م)
الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية (تونس ١٣٢٧ هـ).

ابن الفقيه — (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه)
كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م).

ابن الوردى — (زين الدين أبو حفص عمر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
تاريخه (ترجمه ونشره هيلاندر S. Hylander لندن ١٨٢٣ م).

ابن إياس — (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)
نشق الأزهار فى عجائب الأقطار

(نشره وترجمه إلى الفرنسية L. Langles ـ
باريس ١٨٠٧م) .

٦ — ابن بطوطه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى
ت ١٣٦٩م)
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
(ترجمهـــا إلى الفرنسية ونشرها دفرميرى
وسانجويتى Defrémery et Sanguinetti ـ
باريس ١٨٥٣م) .

٧ — ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى ت ٩٦٨م)
كتاب صــورة الأرض (القسم الأول —
ليدن ١٩٣٨م) .

٨ — ابن خلدون (عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
تاريخه (مصر ١٢٨٤هـ) .

٩ — ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عبد الملك
المعروف بابن سعيد العنسى الغرناطى الأندلسى
ت ٦٧٣هـ أو ٦٨٥هـ)
المغرب فى حلى المغرب (مخطوط بدار الكتب
المصرية)
(اشترك فى تأليفه خمسة علماء غير ابن سعيد ،
وأكمله ابن سعيد) .

١٠ — أبو العباس الناصرى

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤م)

١١ — أبو الفداء (إسماعيل صاحب حماة ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)

كتاب تقويم البلدان (ترجمه ونشره ولي Solvet الجزائر ١٨٣٩م) .

١٢ — أرنولد (Arnold) .

الدعوة إلى الإسلام (ترجمة الدكتور د. إبراهيم والدكتور عبد المجيد عابدين والد... النحراوى — مصر ١٩٥٧م) .

١٣ — الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإ... ولد فى سوتا عام ١١٠٠م)

كتاب نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار و... والبلدان والجزر والمداين والآفاق (طبع ... قطعة منه : صفة المغرب وأرض السودان ... والأندلس — ليدن ١٨٦٦م) .

١٤ — البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى ت...)

المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك — نشره راندون الجزائر ١٨٥٧م) .

١٥ — السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى ولد فى ١٥٩٦م ت بعد عام ١٦٥٥م)
تاريخ السودان (حققه ونشره هوداس وبنوا Houdas et Benoist باريس ١٨٩٨م) .

١٦ — الشنقيطى (أحمد بن الأمين الشنقيطى — نزيل القاهرة)
الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط (مصر ١٣٢٩هـ / ١٩١١ م) .

١٧ — العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
أ — التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢هـ)
ب — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوط) .

١٨ — الغرناطى (أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلسى ت ١١٧٠م)
كتاب تحفة الألباب (نشره فرار Ferrard — باريس ١٩٢٥م) .

١٩ — القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا فى ١٤ مجلدا (طبع دار الكتب المصرية ١٩١٩) .

٢٠ — المسعودى (أبو الحسن على بن الحسن المسعودى الرحالة ت ٩٥٦م) .

١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر (مصر ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)
٢ — أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان
(مخطوط فى مجلد رقم ٨٧٩ بدار الكتب المصرية).

٢١ — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
الإلمام بأخبار من بالأرض « الحبشة » من ملوك الإسلام (مصر ١٨٩٥م) .

٢٢ — ديشان (Hubert Deschamps) : الديانات فى أفريقيا السوداء
— ترجمة أحمد صادق حمدى — (مصر ١٩٥٦) .

٢٣ — رولاند أوليفروجون فيج :
موجز تاريخ أفريقية (ترجمة الدكتورة دولت أحمد صادق ، ومراجعة الدكتور محمد السيد غلاب) (مصر ١٩٦٥) .

٢٤ — ساجمان السلالات البشرية فى أفريقية
(ترجمة يوسف خليل — مصر ١٩٥٩م) .

٢٥ — شبلى (فؤاد محمد)
دراســـات فى اقتصاديات القارة الأفريقية (مصر ١٩٦٣م) .

٢٦ — طرخان (الدكتور إبراهيم على)

١ — تاكيتوس والشعوب الجرمانية
(مصر ١٩٥٩) .

٢ — المدخل إلى تاريخ غربى أفريقيا
(تحت الطبع) .

٣ — دولة مالى الإسلامية
(فى المطبعة)

٤ — امبراطورية صنغى الإسلامية (تحت الطبع)

٥ — دول الهوسا « «

٦ — امبراطورية البرنو « (فى المطبعة)

٧ — امبراطورية الفولانيين « (تحت الطبع)

٨ — امبراطورية التكاروة « «

٩ — غانة فى العصور الوسطى (مصر ١٩٦٧)

١٠ — الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط
والغربى (مصر ١٩٦٩)

١١ — قيام إمبراطورية مالى (مصر ١٩٧٠)

٢٧ — كعت (القاضى الفع محمود كَعْتِ بن الحاج المتوكل
كعت الكرمنى دارا التنكبتى مسكنا الوعكرى
أصلا — من علماء القرن السادس عشر الميلادى)
تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر

الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور
وتفريق أنساب العبيد من الأحرار
(بدأ تأليفه سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م — نشره
هوداس وزميله — باريس ١٩١٣م) .

٢٨ — ليو الأفريقي (حسن بن محمد الوزان ، ولد حوالى عام ١٥٠٣م
وتوفى حوالى عام ١٥٤٠م)
(انظر رقم ٣٩ بالمراجع الأجنبية).

٢٩ — محمد عبد الله إبراهيم (عميد أ. ح.)
أفريقيا من السنغال إلى نهر جـــوبا
(مصر ١٩٦١) .

٣٠ — نعيم قداح
أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام (كوناكرى
١٩٦٠م) .

٣١ — ياقوت (أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ١٢٢٩م)
معجم البلدان (مصر ١٩٠٦م) .

(ب) المراجع الأجنبية :

Apter, D.E., The Gold Coast in Tansition, Princeton, 1955

Bernard A., Afrique Septentrionale et Occidentale, (Géogr. Univ.), t. XI, Paris, 1939.

Baumann H., et Westermann, D., Les peuples et les civilisations de l'Afrique (Traduction franaise, par L. Homburger) Paris, 1948.

Binger, L.G., Du Niger au Golfe de Guinée, Paris, 1892.

Blyden, E.W., Christianity, Islam and the Negro Race, London, 1881.

Bourret, F.M., Ghana, The Road to Independence, London, 1960.

Bovill, E.W., The Golden Trade of the Moors, London, 1961.

Boyd, A. and Rensburg, P., An Atlas of African History London, 1962.

Brevié, J., Islamisme contre Naturisme au Soudan Français, Paris, 1923.

Burns, A.S., History of Nigeria, London, 1955.

Church, R.G.H., West Africa, A Study of the Environment and Man's Use of it, London, 1961.

Clark, F. and others, The New West Africa, Problems of Independence, London, 1961.

Cheikh Anta Diop, L'Afrique Noire pré-coloniale, Paris, 1952.

14 — Cooley, W.D., The Negrolond of the Arabs (An Enquiry into the Early History and Geography of Central Africa, London, 1841.

15 — Davidson, B., Old Africa Rediscovered, London, 1959.

16 — Delafosse, M.

1 — Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental (Traduites d'un manuscrit arabe), Paris, 1913.

2 — Histoire des Colonies Françaises, t. IV, Afrique Occidentale, Paris, 1931.

3 — Soso (Encycl. of Islam), vol. IV.

4 — Takrur (Encycl. of Islam), vol. IV.

17 — De La Roncière, Ch., La Découverte de l'Afrique au Moyen-Age, Le Caire, 1925.

18 — De Pedrals, D.P., Manuel Scientifique de l'Afrique Noire, Paris, 1949.

19 — Dudly Stamp, Africa A Study in Tropical Development, London, 1952.

20 — Fage, J.

1 — An Atlas of African History, Cambridge, 1958.

2 — An Introduction to the History of West Africa, Cambridge, 1959.

21 — Fournel, M., La Tripolitaine, Les Routes du Sahara, Paris, 1887.

22 — Gallieni, Le Commandant, Voyage au Soudan Français, (Haut Niger et Pays de Ségou, 1879-1881), Paris, 1882.

23 — Gautier, E.F., Le Passé de l'Afrique du Nord, Les Siècles Obscurs, Paris, 1937.

24 — Gouilly, A. L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, Paris, 1952.

- Gravier, G., Recherches sur les Navigations Européennes faites au Moyen-Age, en dehors des Navigations Portugaises du XVIe siècle, Paris, 1878.
- Gsell, S., Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Paris, -921.
- Hance, W.A., The Geography of Modern Africa, New York 1965.

Hobbey, L.F.

1 — Early Explorers, London, 1961.

2 — Opening Africa, London, 1962.

Hodgkin, T., Islam and National Movement in West Africa (Conference on African Hist. and Archeology, London, 1961).

Hollis, A.C., The Mandi, their Language and Folklore, Oxford, 1909.

Ivor Wilks (Univ. College of Ghana), A Medieval Trade Route from Niger to the Gulf of Guinea (Conference on Afr. Hist. and Arch., London, 1961).

Jaunet et Barry, L'Histoire de l'Afrique Occidentale Française, Paris, 1949.

Johnston, H.H., A History of the Colonization of Africa by Allien Races, Cambridge, 1913.

Kitchen, H. (Edit.), The Educated African, London, 1962.

Kup, P., A History of Sierra Leone, Cambridge, 1961.

Labouret, H.

1 — Mali (Encycl. of Islam), vol. III.

2 — Mandingo (Encycl. of Islam), vol. III.

Largeau, V., Le Sahara Algérien, Paris, 1881.

Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, Paris, 1899.

39 — Leo Africanus (J. Leo A. More), A Geographical History of Africa (Translated and collected by John Pory), Londini, 1600.

40 — Lugard, (Lady Lugard, F.L.S.), A Tropical Dependency, An Outlines of the Ancient History of the Western Soudan, London, 1905.

41 — Marty P.

1 — Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan, Paris, 1920.

2 — Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures, Paris, 1921.

42 — Mauny R., Gravures, Peintures et Inscriptions Rupestres de l'Ouest Africain, Dakar, 1954.

43 — Mc Culloch, Ethnography Survey of Africa, Part II : The Peoples of Sierra Leone Protectorate (London).

44 — Mollard R., L'Afrique Occidentale Française, Paris, 195[illegible].

45 — Monteil Ch., Les Empires du Mali, Paris, 1930.

46 — Mon[illegible]re, J., L'Afrique et l'Islam, Dakar, 1939.

47 — Niane (Djibril), Grands Empires Africains du Moyen-Age :

1 — Ghana, Conakry, 1959.

2 — Mali, Conakry, 1960.

48 — Niane et Canale, Histoire de l'Afrique Occidentale, Paris, 1960.

49 — Oliver, R. and Fage, J., A Short History of Africa, London, 1962.

50 — Oliver, R. (Edit.), The Middle Ages of African History, London, 1967.

51 — Palmer, H.R., The Bornu Sahara and Sudan. London, 1936.

52 — Pruen, S.T., The Arab and the African, London, 1891.

53 — Reindore, C.C., History of the Gold Coast and Asante, Bassel, 1895.

54 — René-Basset, Mission au Sénégal, Recherches Historiques sur les Maures, Paris, 1910.

55 — Rinn, L., Marabouts et Khouan (Etude sur l'Islam en Algérie), Alger, 1884.

56 — Roux, J.P., L'Islam en Occident, Paris, 1958.

57 — Ryder, A.F.C., The Portugese in West Africa (Conference on Afr. Hist. and Arch., London, 1961).

58 — Shinnie, M., Ancient African Kingdoms, London. 1965.

59 — Slousch (Nahoum), Etude sur l'Histoire des Juifs au Maroc, Paris, 1905.

60 — Spitz, C., L'Ouest Africain Français, Paris, 1947.

61 — Suret-Canale, J., L'Afrique Noire, Paris, 1958.

62 — Talbot, P.A., The Peoples of Southern Nigeria, London, 1926.

63 — Thompson, V., and Adloff, R., French West Africa, London, 1958.

64 — Trimingham, J.S., Islam in West Africa, Oxford, 1959.

65 — Urvoy, Y., Petit Atlas, Ethno-Démographique du Soudan (entre Sénégal et Tchad), Paris, 1942

66 — Ward, W.E.F., A History of the Gold Coast, London, 1948.

67 — Wiedner, D.L., A History of Africa, South of the Sahara, London, 1948.

68 — Yver, G., Ghana (Encycl. of Islam), vol. II.

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٢٢/١٩٧٠